الطبعة الثانية

رواية

سارة عبد الحميد

عمارة الخمس بنات



بيت الياسمين للنشر والتوزيع



اسم العمل: عمارة الخمس بنات
(رواية)
المؤلف: سارة عبد الحميد

الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:
2024/33769
الترقيم الدولي:
9789778173055
الطبعة الأولى يناير 2025
الطبعة الثانية أبريل 2025
تصحيح لغوي: حنان الألفي

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثاني شقة 3
71 ب حدائق الأهرام البوابة الأولى -
ميدان الرماية - الجيزة

البريد الالكتروني:
baitelyasmin@gmail.com
ziad.meguid@gmail.com

تليفون:-
(+202) 01016685583
(+202) 01110094625

إهداء إلى

جميع المشاعر التي اختلطت داخلي وأنا أكتب تلك السطور..

لأول مرة أشعر فيها بتلك الرهبة وذلك التخبط..

إهداء إلى

تلك المرات التي هزمتني فيها وحدتي، فنصرتني الكتابة..

ستجد هنا جزءًا من الواقع.. جزءًا من الخيال.. وربما جزءك الشارد الذي تتمنى الوصول إليه..

إهداء إلى

أمي الغالية وكل عمري

الأستاذة جهاد عزت

ساكن في حي السيدة.. وحبيبي ساكن في الحسين..

وعشان أنول كل الرضا.. يوماتي أروح له مرتين..

م السيدة لسيدنا الحسين..

- أمي القهوة على وشك أن تبرد، هيا.

- حسنًا، أنا قادمة عزيزتي.

قالتها السيدة الخمسينية وهي ترفع صوت المذياع، قبل أن تُحرك عجلات كرسيها المتحرك نحو المطبخ.

تقدمت الفتاة منها خطوتين لتقول بعصبية شديدة:

- متى سوف تكفي عن سماع تلك الأغنية؟! متى؟! أنا أحاول النسيان بكل الطرق وأنتِ تصرين على تذكيري.

- لن أكف عن سماعها بل أنت من ستتقبلين الواقع وتتجاوزين الماضي؛ لتستطيعي المضي في حياتك.

علشان حبيبي زي الغزال.. يوماتي أهجر حيّنا..

وكل واحد عني قال.. عاشق وقلبه مش هنا..

وأنا قلبي متحير ما بين.. السيدة وسيدنا الحسين..

لتنهض الفتاة مستندة على عكازها

- حياة؟!

أي حياة تلك التي تسلب الواحد كل ما يملك؟! أي حياة تلك التي يمكنني أن أعيشها بعدما أصبحت ذات عاهة مستديمة، وأصبحت أنت قعيدة؟!

تجمعت الدموع في عينيها لتكمل:

- لقد فارقت روحي الحياة، فقدتها عندما رأت الموت. الفارق الوحيد أن جسدي رفض أن يفارق.

أوشكت جلنار أن تغادر، لتسمع صوت ارتطام جسد

والدتها بالأرض..

- أمي!

استدارت مسرعة نحوها.. ألقت بعكازها بعيدًا محاولة رفع والدتها على الكرسي مرة أخرى لتشعر بألم رهيب يسري في عمودها الفقري.. تأوهت بشدة قبل أن تستسلم للوهن الذي أصابها جلست على الأرض بصعوبة جوار والدتها تبكي وتنتحب.

فكرت فمن يمكن أن يسمع بها، أو كيف يمكنها مساعدة والدتها؟

لتستند بكلتا يديها على الأرض متحاملة على الألم، توجهت نحو رخامة المطبخ لتمسك الهاتف بيد مرتعشة وتتصل بأحد الأرقام..

- أيان.

قالتها بصوت متقطع ليرد عليها الطرف الآخر بقلق..

- قد أغشي على والدتي مرة أخرى، من فضلك أسرع وأحضر لنا طبيبًا.

***

في غرفة نازلي والدة جلنار

كانت ممددة على السرير وجوارها ابنتها التي تمسك بيدها بقوة.

قالت نازلي وهي تعتدل لتجلس:

- شكرًا أيان لا أعلم كيف أشكرك على وقوفك معنا دومًا.

ابتسم ليقول لها:

- لا عليك، فأنا ولدك وأخ لجلنار. سأكون معكما فأي ظرف.

- أدامكم الله سندًا وعونا لبعض يا صغاري.

ردت جلنار بسخط

- أخ آه، عفوًا ليس لدي إخوة ذكور، فإن كان كذلك ما استطاع والدك مشاركتنا في مال أبي في أكثر أوقاتنا حاجة له.

- جلنار اصمتي الآن! أعتذر منك يا أيان حقًا.

قالتها والدتها بحرج شديد، ليتنحنح أيان قائلًا:

- لقد تحدثنا في ذلك كثيرًا من قبل وأخبرتك أنه ليس لي ذنب في ذلك، إن احتجت أي شيء فلتتصلي بي.. إلى اللقاء.

قالها متوجهًا نحو الباب.

نظرت والدتها نحوها بعتاب

لتتأفف جلنار وهي تعقد كلتا يديها.

***

فى حي من أحياء المعادي..

وقفت بيسان تلهث من شدة الحرارة وهي تحمل حقيبة ظهر كبيرة على ظهرها، وتمسك بأخرى لا تقل حجمًا عنها في يدها، نظرت بوهن شديد لأقرب مكان يمكنها الاستراحة فيه لتقع أنظارها على شجرة ضخمة، توجهت نحوها لتتكئ بظهرها عليها. أخرجت من حقيبتها زجاجة مياه تشرب منها بعطش شديد..

- يا الله! كيف سأتدبر أمري الآن؟!

وضعت الحقيبة أرضًا وجلست تستند بظهرها على الشجرة لتغفو من شدة الإرهاق.

ليلًا..

استيقظت بيسان على يد تربت على كتفها بمهل، لتنهض من مكانها مفزوعة تنظر نحو السيدة البشوشة التي تبتسم نحوها..

- عزيزتي، ليس من الأمان لك أن تغفي هنا.

لترد بيسان وهي تُعدّل من هندامها:

- نعم، سأرحل الآن.

ثم انحنت تحمل حقيبتها..

سارت هائمة لا تدري أين تذهب، وبأي جدران قد تحتمي..

في المساء.. أمام بناية شبه متهالكة كانت تقف سديم وسدرة تحزمان أمتعتهما في عنف، لتخرج سيدة من باب البناية تقوم بإلقاء باقي حقائبهن في عنف شديد، صارخة في وجههما بعنف وهي تتشدق ببضع السباب.. لترد سديم عليها بلهجة مماثلة العنف وهي تشيح بيدها في وجهها:

- اللعنة! هل كنا نسكن مجانًا، أم كنتِ تُطعميننا من ثلاجة بيتكم؟! لعلمك قد تركنا المنزل قبل انتهاء مدة الإيجار ليس خوفًا منك أنت والأرعن زوجك، فقط سننتقل للتخلص من تلك البناية المقرفة كأصحابها.

لتقوم سدرة بسحب يدها بخوف..

- كفى سديم بالله عليكِ، يكفي أن والدي سينحر عنقنا إن علم بتركنا المنزل ليلًا هكذا.

- ألا ترين كيف تقل تهذيبها علينا؟! هذه المرأة لن تسكت حقًا حتى أقص لها لسانها..

كانت السيدة صاحبة البناية تقف تحرك يدها لترتفع أصوات أساورها الذهبية وهي تتخبط ببعضها، لتقول بصوت مرتفع وهي قاصدة افتعال فضيحة لهما:

- ألا يكفي رضينا بتسكين فتاتين بمفردهما في البناية راضين بالهمَ وتحملنا مسئوليتهما؟! لكن لن نرضى بقلة تهذيبهما وتأخرهما في العودة مساءً،

والله أعلم ماذا أيضًا تفعلان.. فهما تبيتان أحيانًا خارج المنزل دون أي خبر..

نظرت لها سديم بنظرة نارية قبل أن تدفع سدرة أختها مندفعة نحو المرأة.. هجمت عليها لتطرحها أرضًا قبل أن تنهال عليها بالصفعات قبل أن تصرخ الأخرى مستغيثة بزوجها الذي أقبل مهرولًا وهو يرى زوجته أرضًا والنساء من حولها تقفن تشاهدنها في صمت وتشفٍ، وكأنما يأخذن بثأرهن منها، فالجميع في الحي يعلم بافتعالها تلك المشاكل بسبب غيرتها المجنونة على زوجها الذي لن ينظر له سواها..

اقترب منها منحنيًا يحاول سحب سديم من أعلى زوجته لتستدير لاكمة إياه في وجهه..

شهقت سدرة بعنف لتصرخ بعدها باسم سديم وهي ترى السيدة تنهض ممسكة بصخرة ضخمة من الأرض لتلقيها في وجه سديم وهي تستدير لها مرة أخرى.

في قسم الشرطة في المساء..

كان يجلس وكيل النيابة خلف مكتبه يُطالعهن بغضب وهو يراهن على وشك أن يتشابكن سويًا مجددًا..

كانت السيدة صاحبة المنزل تقف تنظر نحو الفتاتين بتشفٍ، رغم كدمات وجهها الواضحة وشعرها المشعث الظاهر من أسفل الطرحة التي ترتديها..

كانت سديم تنظر لها والشر يتطاير من عينيها بينما سدرة وقفت مطأطئة الرأس لخوفها من أبيها، وخشية أن يُخبر والدتها بما حدث..

قال وكيل النيابة وهو يوزع نظاراته بين ثلاثتهن:

- هل نقوم بعمل محضر صُلح، أم تفضلن أن تبتن هنا حتى نُحقق في الأمر؟

تأففت سديم بصوت مرتفع لتلكزها سدرة بعنف وهي تسرع بالقول:

- نود عمل محضر صُلح سيادتك.

لتقول السيدة الواقفة بصوت خافت وبراءة مصطنعة:

- ما تراه سيدي، فأنا أم لطفلين وزوجة من بيت محترم لن يُحبذ زوجي بقائي في المخفر جوار المجرمين والمتشردين.

لتشير بعدها نحو سديم التي كادت تفقد أعصابها مرة أخرى لولا وصول والدها في تلك اللحظة..

نظر والدهما نحوهما بغضب جمّ وغليل مكتوم لتقوما بتسوية المحضر والخروج معه بعد ذلك، ليسحب كلتيهما بعيدًا عن المكان..

وقفت كل من سديم وسدرة تستمعان لتقريع والديهما. كانت سدرة حينها تشعر بالخجل من خذلان والدها والخوف من أن يُخبر والدتهما وتطالبهما بترك العمل والعودة للبلدة من جديد، فهي لم تقتنع من البداية برحيلهما للقاهرة بحثًا عن العمل. لولا والدهما وإصراره على أن تشق كل منهما طريقها التي اختارت.. في حين شعرت سديم بالتمرد والظلم. أوشكت حينها على البكاء، لكنها أبت الاستسلام وفضلت الصمت لحين انتهاء والدها، لولا مقاطعته صمتها

قائلًا:

- اخرجي عن صمتك هذا وقومي بإعداد نفسك وأختك. سنمكث الليلة عند عمتك بالمعادي، وغدًا سنعود للبلدة.

لترد كمن شكب عليه جليد:

- أي بلدة؟! ونعود كيف؟! ماذا عن عملي؟!

وأشارت نحو سدرة:

- وماذا عن دراستها التي تُحضر؟! كيف هذا؟!

رد عليها:

- انتهى الأمر. ومن الجيد أنني لم أُخبر والدتكما بفعلتكما تلك.

ودت حينها أن تصرخ قائلة:

«بدلًا من تشجيعي لأخذي حقي ممن تطاولت عليّ والوقوف في صفي»!! ولكن سدرة أرادت أن تفض ذلك الخلاف حتى يهدأ والدهما ويستطيعوا الوصول لحل وسط، لتقول:

- حسنًا أبي، سنفعل كل ما تريد، ولكن لنعود لمنزل عمتي أولًا فنحن مجهدين اليوم.

في إحدى مدن الصعيد..

وقفت كاميليا أمام المرآة تتكحل، كانت تطلق العنان لخصلات شعرها الفحمية. رفعت يدها تُعدل من وضع خصلاتها قبل أن تنظر لنفسها برضا في المرآة. اليوم من أجمل الأيام التي قررت أن تحياها.

أقام والداها حفل حناء كبيرًا احتفاءً بضيوفهم الذين جاءوا للمباركة لوحيدتهما..

وهي تشعر بفخر وفرحة لم تشعر بها من قبل. وجدت الباب يُفتح بقوة لتقترب منها والدتها. شعرت كاميليا بالتوجس من نظرة والدتها لتقول:

- ماذا هناك؟

لم تُعطها والدتها ردًا، فقط جذبتها من خصلاتها لتقوم بعدها بصفعها بقوة، سقطت كاميليا على الكرسي المجاور لها، لتقوم والدتها بتكبيل اللكمات لها غير ابهة بتوجعها.

لم تكن كاميليا على علم بما يحدث، فقط حاولت تخليص نفسها من يد والدتها لترى بعدها ابنة عمها وشقيقة زوجها تُقبل وهي تنظر نحوها بتشفٍ وحقد دفين..

اقتربت إبتسام من زوجة عمها لتقول:

- كفى يا خالتي لا تتعبي نفسك فالفضيحة طالتنا وانتهى الأمر.

لتصرخ كاميليا وهي تنتفض من الغضب:

- احفظي أدبك. عن أي فضيحة تهذين؟

رفعت إبتسام الهاتف لتقوم بتشغيل إحدى مقاطع الفيديو المصورة لتتسع أعين كاميليا..

مريضة سرقة هي، تعلم ولكنها ظنت أن سرها لن يُكشف..

بدأ الأمر معها حينما كانت والدتها ترفض أن تُزيد مصروفها اليومي وهي صغيرة، أو تلبية إحدى رغباتها التي لا تنتهي، فكانت عوضًا عن الاكتفاء بما تملك تسحب من المال الذي تدخره والدتها سرّا.. ظلت على هذا الوضع حتى الصف الإعدادي، تختلس من والديها بعض النقود البسيطة التي لن يلحظاها كلما احتاجت، لتشعر بعدها بالمتعة وهي تختلس، بدأت بسرقة زميلاتها في المدرسة كلما شعرت بالملل، وكأنها أدمنت جرعة الأدرينالين المتدفقة في دمائها أثناء ذلك.. لاحظت كاميليا أنها مريضة عندما وجدت نفسها أصبحت تسرق لهدف السرقة، ليس لأنها تحتاج أو ينقصها شيء. فباتت تسرق أشياء تافهة فقط بغرض السرقة والحصول على ما ليس لها. أرادت الذهاب لطبيب مختص لكنها خشيت الفضيحة. خافت أن يكشف والداها أمرها أو يعلم أحد خطيبها بذلك.. نوت الانتظار

لبعد الزواج حتى تقوم بمعالجة الأمر، ولكن يبدو أن للقدر رأيًا آخر..

مقطع يلي الآخر وعيناها تتسع. تنهمر منها الدموع دون هوادة.

لم تكن مواقف قريبة بل كانت من مدة طويلة، كأنما انتظر من التقط تلك الفيديوهات لها وهي تسرق أكثر وقت مميز في عمرها لتحطيمها والقضاء عليها، لم يفضحها أو يشي بها لوالديها، بل أرسل مقاطع فيديو مصورة يوم حنتها لجميع الحاضرين من أهلها..

اضطربت كاميليا وهي تنظر في أعين ابنة عمها لتعرف أنها الفاعلة، فهي كانت بصحبتها في أغلب المرات المصورة.

مرة وهي تسرق قلم كحل رخيصًا من أحد المحلات، ومرة وهي تسرق بعض الأوراق النقدية من سيدة في السوق..

لم تشعر كاميليا بصراخ والدتها. كانت مغيبة. أدركت أن كل ما مر من حياتها شيء والقادم شيء آخر. لتفيق على أكبر صفعة وُجهت لها؛ دلوف والدها محني الرأس كما لم تَرَه قبلًا يُخبرهم:

- قام حسام بإلقاء يمين الطلاق عليك في حضرة الجميع وإلغاء حفل الزفاف، ليتك مُت قبل ذلك..

هي كاميليا شحقت.. فهل قد تنبت من جديد؟

- مع الأيام نعلم أننا مضطرون للتخلي، سيتوجب علينا إفلات أشياء للحصول على أخرى، أو ترك كل شيء فقط محاولةً للنجاة، لا يُفضل أحد الفرار، لكن ماذا إن كان في البقاء هلاك لأرواحنا؟

ليلًا وفي بيت كاميليا بعدما انصرف الجميع..

جلست كاميليا مطأطئة الرأس أمام والديها، كانت

المتهمة وإن غابت هنا المحكمة. لم يحاول والداها بذل جهد في معرفة سبب سرقتها، أو كيف بدأ الأمر. فقط كان همهما التكتم على الأمر قدر الممكن بعدما تمت فضيحتهم..

كانت الاتصالات تتوالى على والدها بين شامتين ومتعجبين، وقلة فقط من الأقارب يريدون الاطمئنان على حالهم.

نطق والدها بصرامة وهو ينظر نحوها بازدراء:

- لا يجب عليكِ البقاء هنا. على الأقل الفترة القادمة، الفضيحة تمت بين أقاربنا وأصدقائنا، ونرجو من الله ألا ينتشر الأمر أكثر من ذلك، عليكِ الاختفاء حتى نستطيع معرفة المتسبب في تلك الفضيحة بعدما اتبع خرقاء مثلك وتجسس خلفها.

رفعت كاميليا عينيها الملتهبتين نحوه دون أن تنطق بكلمة.

ليُكمل والدها:

- وبما أن حسام النذل أيضًا خيب أملي الأخير فيه وقام بتطليقك في يوم الحناء. سيبدأ الجميع في المدينة بالتساؤل، لذا سأقوم بمساومته على ألا ينطق بما حدث مقابل إرجاع المهر والشبكة كاملين له، رغم رغبتي في الانتقام منه، لكنك لم تدعي لي فرصة للنطق بكلمة معهم، تدخلت والدتها هي الأخرى، والتي كانت جالسة تشاهد في صمت:

- لا سامحك الله على ما فعلت بنا، من الآن لست ابنتي ولا أرغب في معرفتك مرة أخرى.

خرجت كاميليا عن صمتها أخيرًا سائلة والدها:

- هل يمكنني الذهاب للعيش في القاهرة الآن والعودة للعمل في المدرسة التي عملت بها بعد تخرجي؟

ضحك والدها باستهزاء ليقول:

- ينقص أن تخبريني أنك ترغبين في تأسيس حياة من جديد.. أي حماقة تلك التي تتفوهين بها؟! وعن أي عمل تتحدثين؟! سأبحث لك عن مسكن في حي بعيد، حتى لا يستطيع أحد الوصول إليك الآن، وإن علمت يا كاميليا بخروجك دون إذن أو ارتكابك أي حماقة أخرى ستكون نهايتك على يدي تلك المرة.. فأنا لم أعد في حاجة لفتاة مثلك. فقط لا أريد دخول السجن بسبب سارقة مثلك. والآن وحتى أتدبر أمر سكنك الجديد اصعدي لغرفتك ولا تُريني وجهك أو تظهري أمامي.

لتقول والدتها هي الأخرى:

- وأنا أيضًا لا أريد رؤيتها أو المكوث معها تحت سقف واحد، سأذهب عند أخي للمكوث عنده حتى تذهب تلك الفتاة من هنا.

لتنهض كاميليا صاعدة لغرفتها وهي على يقين أن القادم في حياتها لن يُشبه أيًا مما مضى..

الفراق صعب. والأصعب تلك اللحظات التي نحتاج فيها من فارقونا فيُصيبنا سهم الضعف وسهم الاحتياج، وهي فارقت والدها في أشد الأوقات التي تحتاجه فيها. تركها تواجه أزماتها وحيدة بعدما كانت مدللته العزيزة، مرض والدتها يُقطع نياط قلبها وتخلي أهلها الذين ظنت أنهم يقربونها يجعلها تختنق، أصبحت تحمل ضغينة للجميع بعدما كانت نفسها كزهور الياسمين بيضاء لا يشوبها شائبة، هي الآن في أكبر اختبار لها بعد الضائقة المالية التي يتعرضون لها واستيلاء عمومتها على إرث والدها بالكامل، لن تستطيع مواجهتهم الآن أو شكواهم. أصبحت تفكر فقط في عملية والدتها، حتى أنها تناست مشكلتها الأساسية. غفلت عن

بطولتها التي ستفوتها قصدًا. لا وقت للأحلام الآن. فإن كان الواقع كذلك لم قد تحلم بالمستقبل؟

جلست جلنار في غرفتها مُحدقة بسقف الغرفة تُحاول عصر ذهنها للوصول إلى حل، هي في حاجة لسيولة نقدية وبسرعة فائقة، وأعمامها بعدما خذلوها لن تلجأ إليهم مرةً أخرى، هي تُريد ألا ترى وجوههم أو تسمع تبريراتهم السخيفة والأعذار التي خلقوها ليبرئوا بها تخاذلهم وتخليهم عن ابنة أخيهم وزوجته بعد الحادث الأليم الذي تعرضوا له.

هي ما زالت تتذكر تفاصيل ذلك اليوم جيدًا.

منذ ستة شهور مضت..

كان والدها أقدم على طلب إجازة من العمل ليقضي معهما عطلة نهاية الأسبوع كما ترغب هي. ابتهجت يومها واقترحت عليهما أن يقوموا بالذهاب لقضاء العطلة في شقة الإسكندرية التي يملكونها.

ليُلبي والدها رغبتها رغم إجهاده

قاموا بإعداد الحقائب، وقامت هي ووالدتها بصنع الشطائر حتى يتولى والدها أمر إخراج السيارة من الجراج، لترتاد والدتها بعد ذلك السيارة مُتخذة المقعد الأمامي جوار والدها، وهي في الكنبة الخلفية.

كانت الأمور في البداية تسير على ما يرام..

يقود والدها على سرعة متوسطة كما يفعل دومًا، والطريق لم يكن مزدحمًا وقتها

مشغلًا الراديو على غنوة محمد عبد المطلب بمزاجية تخصه هو ووالدتها فقط..

يشبك يده في يد والدتها ويرفعها يلثمها في شغف.

لتبتسم هي في الخلف وهي تنظر نحوهما ونحو

المودة التي بينهما التي عهدتها منذ ولادتها.

حتي جاءت اللحظة الصادمة..

كل ما كانت تتذكره هو أصوات الصراخ المرتفعة من حولها، ومشهد تجمع الناس حول السيارة المحطمة، كانت هي على الأرض جوار السيارة بعدما اندفعت للخارج أثر الاصطدام الذي حدث بين شاحنة ضخمة وسيارة والدها، كانت الرؤية مشوشة أمامها حينها، لكنها لمحت وجه والدتها المغطى بالدماء والتي كان يحملها اثنان محاولين نجدتها بعد انقلاب السيارة، لم تلمح وقتها والدها.

رؤية والدتها التي ظنتها في عداد الموتى وهم يحاولون التحقق من أنها ما زالت حية، حينها كانت أفضل من شعورها تجاه اختفاء والدها الذي تيقنت من هلاكه.

حاولت التحامل على نفسها والنهوض وقتها لكنها لم تقدر، كان الألم في ظهرها يجعلها غير قادرة على تحريك رأسها ولو قيد أنملة..

اعتدلت في جلستها لترجع خصلات شعرها للخلف، وهي تنظر لعصاها التي أوصاها الطبيب بألا تسير بدونها لفترة، والموضوعة جانب كرسي والدتها المتحرك، لتتنهد بأسى وغضب مكتوم..

عادت لتتذكر ما دار في ذلك اليوم..

***

بعد الحادث مباشرة..

طلب الناس النجدة وسيارة الإسعاف ليتم نقلها هي ووالدتها ووالدها للمستشفى، لكن قبل وصولهم المشفى كان توفي والدها إثر ارتجاج عنيف بالمخ ونزيف داخلي شديد.

أما عن والدتها فبعد وصولهم المشفى وحينما

كان يتم إسعافها وإعدادها للدخول لغرفة العمليات لوجود كسر بفقرات ظهرها سألت عنها بضعف، لتخبرها الممرضة أن تدعو لها أن تفيق وتتجاوز مرحلة الخطر.

حينها لم تكن أفاقت من تلك الصدمة لتستوعب الصدمة التي رأتها بعدها، وهي مشهد الطبيب يرفع الملاءة البيضاء على وجه والدها..

أصعب يوم مر عليها في حياتها.... يوم تمنت فيه من الله أن تموت ألف مرة..

كانت تدعو الله ألا تفيق من العمليات. كان ما يحدث فوق استيعابها وقدرة تحملها.

سنوات عمرها السبعة عشر لم تستطيع تفسير ما يحدث.

أفاقت من العملية بعدها ليبشرها الطبيب أن والدتها ما زالت على قيد الحياة، وأن تشكر الله لأن نجاة والدتها في حد ذاتها معجزة.

فضل الطبيب حينها أن يخبرها نصف الحقيقة ويترك نصفها المبتور حتى تكتشفها هي حينما تستطيع النهوض من جديد.

مر يوم واثنان وثلاثة.. حينها كانت تنتظر فيهم زيارة عمومتها ليأتوا في اليوم الرابع يعتذرون لها عن تأخرهم وانشغالهم بدفن والدها وأخذ العزاء.

بكت حينها.. بكت كثيرًا حتى لم تعد تملك من الدموع ما تذرفه..

ولكن المفاجأة أنهم لم يواسوها.

لم يحتضنها أحدهم، أو يربت على كتفها، لم يخبروها أنهم سيتكاتفون سويًا لتعويض غياب والدها أو يطمئنونها أنها ووالدتها أمانة والدها التي طالما أوصاهم عليها.

سألت وقتها عن أيان ابن عمها، وأقرب فرد في العائلة لها، تعجبت من غيابه!

لكنهم تجاهلوا ذلك.

أشعروها بالاضطراب في أحلك أوقاتها، كانت النظرة في أعينهم مبهمة لم تستطع تفسيرها. لكن الأكيد أنها لم تكن نظرة شفقة أو رأفة بحالها.

سألتهم عن حال والدتها ليفجر أكبر أعمامها الصدمة:

- والدتك السيدة نازلي أصبحت قعيدة جلنار، وما زالت في حاجة لإجراء بعض التدخلات الجراحية. لكن الأمر سيستغرق مدة.

انهارت بعدها.

شعرت بالعجز.

انتابها شعور الخوف. ذلك الشعور المقزز بالضعف وقلة الحيلة، علمت أن القادم سيكون صعبًا على كلتيهما..

رغم وجودها في غرفة منفصلة وعدم زيارتها لها حتى الآن، ولكنها متأكدة مما ستفعله حينما تقابلها..

ستبتسم لها بهدوء تخبرها أن كل شيء سيكون جيدًا طالما هما معًا.

هي على يقين أن فراق والدها وقعه على والدتها أصعب منها ألف مرة. فهو حبيب عمرها، ورفيق سنوات حياتها.

لكن والدتها ستتحمل من أجلها، ستخفي وجعها وتحاول لأجلها ألف مرة أن تتظاهر بأنها بخير.

***

بعد مرور شهر من ذلك الحادث..

خرجت هي ووالدتها من المشفى، وكان في استقبالهما ذلك الوقت أعمامها وأيان ابن عمها

الأكبر، والذي كان يتحاشى النظر لها.

قاموا بإقلالهما للمنزل وأخبروهما عن رغبتهم في التحدث معهما في بعض الأمور.

تعجبت والدة جلنار حينها، وحدسها ساورها بما يجول في بالهم.

طلبت منهم أن يتحدثوا بمفردهم دون وجود جلنار.

بعد مدة قصيرة سمعت جلنار أصوات مشادة في الحديث بين والدتها وأعمامها الثلاثة.

استندت على عكازيها معًا لتتحرك بخطوات بسيطة نحو باب الغرفة وتفتح الباب..

- أمي، ماذا حدث؟

قالتها بلهفة وهي ترى شهقات والدتها المتلاحقة ودموعها المنسابة على وجهها.

حاولت التحرك نحوها مسرعة ليتقدم أيان يُسندها.

لتكون الصدمة التالية..

قالت والدة جلنار بحزن:

- أعمامك يودون هضم حقنا جلنار، لم يكتفوا بمفاتحتهم لموضوع الإرث بعدما مر على وفاة والدك شهر فقط. بل يرغبون أيضًا في الاستيلاء على المحلات التي تركها والدك.

قال أحد أعمامها بغضب مماثل:

- سيدة نازلي لا أسمح لك. أنا أحاول منذ ساعة أن أطلعك على الوضع الحالي، لكنك لا ترغبين في استيعاب ذلك. أنتما لن تستطيعا إدارة محلات أخي رحمة الله عليه، كما أنكما في حاجة للمال، لذا قررنا التنازل عن حقنا في تركة أخي من الأموال الموضوعة بالبنك مقابل المحلات.

لترد الأخرى بحرقة وقهر:

- وهل النقود القليلة التي تركها المرحوم بالبنك تكفينا، خاصة في تلك الظروف؟ وهل المحلات التي ثمنها يتجاوز تلك الأموال بمراحل عندما تقتسمونها بينكم وتخرجونني أنا وابنتي من التقسيمة شرع الله؟! حسبي الله ونعم الوكيل وكفى..

ليرد عم جلنار الأكبر ووالد أيان:

- إن كنت لا ترغبين في حل الموضوع وديًا بيننا، إذًا يمكنك اللجوء للمحاكم..

ليوزع نظراته بينها وبين جلنار المستندة على أيان باستخفاف:

- ولكنني أدري أنكما لن تقويا على ذلك الآن، خاصة في ظل حاجتكما لأموال العلاج. كما أننا نحن من سددنا أموال المشفى والإيصالات ها هي. لذا من الأفضل لكما أن تتنازلا عن نصيبكما في المحلات.

ابتسم ابتسامة صفراء بعدها ليقول بخبث:

- وبكل تأكيد لن نترككما. فجلنار ابنة أخي العزيز وبمثابة ابنة لي. إن احتاجت للمال في أي وقت يمكنها فقط أن تحدثني.

نظرت جلنار نحوه بصدمة ووزعت نظراتها المشمئزة بين ثلاثتهم لتقول لهم بعدها:

- فكيف لنفسي أن تسول لي أن أشخاصًا مثلكم قد يقربونني؟ فوالله من ير قبح نظراتكم كما أراها الآن؛ لقال أنكم أشد الناس خبثًا.

***

عودة للواقع..

التمعت عينا جلنار فجأة وكأنما وجدت الحل.

تأجير باقي شقق المبنى، فمن حسن الظن كان ذلك المبنى كتبه جدها لوالدتها باسم ابنته قبل رحيله، حيث كانت أمها وحيدة أيضًا.

لم يكن المبنى بكبير مجرد ثلاثة طوابق.. بطابقين منهم شقتان متقابلتان، والطابق الأخير به شقة واحدة أكبر حجمًا وهو الذي يسكنانه.

لم ترغب والدتها من قبل في تأجير المبنى، وكان شرطها الوحيد للزواج من والد جلنار هو أن يسكن معها في ذلك البيت، الذكرى الوحيدة المتبقية لها من والدها.

ولظروف والدها الميسورة فضلوا الخصوصية ولم يحبوا أن يؤجروا أي من الشقق التي لم يسكنوها.

قررت جلنار أن تعرض الأمر على والدتها.

في غرفة والدة جلنار..

أخذت السيدة نازلي تتنهد بملل بعد محاولات إقناع جلنار المستمرة لها أمام رفضها لتقول بعدها:

- سأقوم بعرض الذهب الذي نملكه كله للبيع، وسأضع المال كوديعة شهرية بالبنك، ونحصل منها على الأموال، لكن لن أدخل غريبًا بيتنا يعيش وسطنا. رفضت ذلك أثناء وجود والدك، فهل آمنُ لغرباء الآن؟!

لتقول جلنار:

- لكن أمي انظري، نحن في حاجة لادخار الأموال لعملياتك، لذا يجب أن نترك المال الخاص بالذهب لها..

لتكمل بحزن وقد اغرورقت عيناها بالدموع:

- فقد أخبرني الطبيب أنك ما زلت بحاجة لإجراء عمليتين.

نظرت لها والدتها بعمق في عينيها وهي تمد يدها

تمسح عبراتها، لتقول بعدها:

- حبيبتي، أعتذر لك عن عجزي وضعفي. أحملتك الهم مبكرًا صغيرتي.

لتمد يدها تحتضن وجهها.

قبلت جلنار يدها المحتضنة وجهها لتقول:

- لا حرمني الله من وجودك، وأدامك الله سندًا لي. فليس لنا إلا بعض الآن.

قالت نازلي بعدما استعادت رباطة جأشها:

- حسنًا يا فتاة، سأترك لكِ تلك المهمة، لكن بشرط واحد.

عقدت جلنار حاجبيها لتقول:

- ما هو ذلك الشرط؟

ابتسمت نازلي لتقول:

- أن يكون المستأجرين فتيات فقط، ليكون سكن طالبات مثلًا.

في منزل عمة سديم وسدرة..

جلسوا على طاولة السفرة مجتمعين.

زوج عمتهما يترأس السفرة، ويجاوره والدهما عن يمينه وعن يساره عمتهما، وجوارها سدرة وبعدها سديم.

كانت سديم تحرك الملعقة في الطبق بلا شهية، بينما كانت سدرة تتناول بنهم الطعام كعادتها عندما تتوتر أو تنشغل في شيء.

وزعت عمتهما نظراتها المتعجبة بينهما، لتحرك فمها متعجبة قبل أن تتشدق ببعض الكلام الذي يؤذيهما كعادتها:

- سدرة ألا تنوين أن تعاودي لاتباع حمية غذائية؟ حبيبتي فقد زاد وزنك كثيرًا عن المرة السابقة التي

رأيتك فيها، ولم يكد يمر ثلاثة أشهر.

ابتلعت سدرة الطعام ومعه غصة حلقها، لتبتسم لتخفي ألمها. فهي اعتادت تعليق أقاربها على طبيعة جسدها، خاصة أنها عكس توأمها التي تملك جسمًا مثاليًا مقارنة بها، لتقول:

- لا عمتي لا أريد، فأنا معجبة بشكلي الآن ومتأقلمة مع طبيعته. كما أنني أملك صحة جيدة الحمد لله.

لتقاطعها عمتها:

- لكن حبيبتي أنتِ في سن زواج الآن، والخُطاب يجب أن يطرقوا منزلكم الآن. هل تريدين أن تتزوج سديم وتبقي أنتِ جوار أمك؟

لتنظر لها سديم وقد احمر وجهها من الغضب بعدما رأت حرج أختها لتقول:

- سدرة إنسانة رائعة وجميلة كما هي، سيكون محظوظًا من يرتبط بها، وهي تستحق أن تجد شخصًا لا يفكر بها كمجرد تمثال منحوت.

- لا أقصد عزيزتي، ولكن الرجال لا تغلبهم عاطفتهم مثلنا، ولن يحبوا أختك بنفس طريقة حبك لها.

ابتسمت بخبث بعدها لتقول:

- كم أرغب يا سديم في أن يرتبط عزيز ابني بفتاة مثلك جميلة ومتعلمة وواثقة من نفسها. لو فقط توافقين على ترك العمل لكنت زوجتك له في أول إجازة عمل ينزلها وسافرت معه الخليج.

ارتفع حاجبا سديم وأوشكت على الرد لتسمع صوت والدها الهاتف بغضب:

- كفى سميحة، ألم أخبرك من قبل أن تتوقفي عن ذكر ذلك الموضوع، أم ترغبين مني ألا اتي لزيارتك

مع الفتيات مرة أخرى؟!

ثم نظر نحو زوجها قائلًا:

- أخبر زوجتك يا أبا عزيز أني رفضت ذلك الموضوع سابقًا، فلا يصح أن تفاتح الفتاة فيه.

لترد أخته بصوت مغتاظ محاولة إخفاء حرجها:

- كما تشاء، ولكن زوجتك موافقة. وهي من حاولت استمالتي لأكرر العرض مرة أخرى. فهي مثلي تعلم أن الفتاة الأفضل لها الزواج والسترة مع رجل مقتدر يصونها، لا ارتداء الملابس الرجالية والتنقل في المواقع للحصول على سبق صحفي..

رد عليها مقاطعها:

- لم أعلم ابنتيّ لترتبطا بعد ذلك بمن لا يقدر أحلامهما وطموحاتهما ويرغب في دفنهما وجعلهما تبنيان حياتهما على أساسه كمحور الكون.

لقد رغبت في أن تنتقلا للعاصمة للبحث عن حياتهما وتأمين مستقبلهما بعيدًا عن عادات البلدة.. فكيف تريدين من فتاة قوية كسديم أن ترتبط بابنك الذي يريد منها أن تلحق به ضاربة بحياتها عرض الحائط، وأنتِ أمه التي لا تقدر عملها أو تحترم طريقة لبسها وأسلوبها هي وأختها؟!

والله لو آخر رجال الكون لأبقيتها جواري ولا أطمئن عليها معكم. أما عن أمها فسأحاسبها عن فتحها ذلك الحوار معك.

لتقوم بعدها تتحرك بجسدها الممتلئ نحو المطبخ وهي تتحرك لتصدر رنينًا مزعجًا لاصطكاك أساورها الذهبية معًا.

نظر فضل نحو ابنتيه في حنو وهو يرى نظرة الفخر والامتنان في أعينهما:

- هيا يا فتيات سنرحل الان.

صدفة..

بعض الصدف تكون كنجوم متلألئة ضاهى عليها ضوء القمر، متى اختفى وحلت عتمة السماء تطل هي بنورها..

كان يسير ثلاثتهم يضحكون معًا وهم يتناولون المثلجات، غير محددين وجهتهم كعادتهم عندما يتنوهون في المعادي..

ضحكت سديم وهي ترى ضحكات أختها المرتفعة وابتسامة والدها الراضية.

لتقول بشغب:

- فضل ألا تنوي أن تعيد النظر في الأمر مرة أخرى؟ انظر من جانب آخر. ابنتك تدافع عن حقها وسمعتها بكل تضحية كما عودتها وربيتها.

نظر لها ليقول:

- كعادتك متسرعة دومًا، هناك فارق بين أن تدافعي عن حقك، أو أن تلقي بنفسك في التهلكة، وتقللين من شأنك ومستواك.

فهناك أناس خير الرد عليهم الصمت، وهناك مواقف نحتاج فيها التريث لأخذ حقنا واللجوء للكبار.

ليقوم بمد يده يضربها على مؤخرة رأسها بخفة:

- ليس كل شيء يُحل بقوة، وتهورك سيضيع حقك ويجعلك مخطئة.

- أنا فخورة أنني ابنتك يا أبا البنات.

مد يده يحاوطها عن يمينه وأختها عن يساره.

قالت سدرة وكأنما اكتشفت كنزًا:

- أبي، انظر!

ليقف ينظر للافتة الإعلانية السوداء التي جذبت

نظرها: «شقق إيجار للفتيات الطالبات فقط. لمعلومات أكثر هنا سكن أصحاب العمارة»..

كانت جواره سديم التي نطقت بتوسل:

- أرجوك أبي فرصة أخيرة، فمكان الجريدة الجديدة التي تقدمت للعمل بها قريب من هنا، كما أن هنا مكان دراسة سدرة بالأكاديمية. رجاءً فرصة أخيرة. أعدك لن أخذلك.

في غرفة الصالون في منزل جلنار..

طلبت جلنار من والدتها الخروج لمقابلة الفتاتين اللتين جاءتا مع والدهما لاستئجار إحدى الشقق.

كانت جلنار متحمسة بعد مقابلتها سديم وسدرة رغبة في أخذ التأمين منهما مباشرة.

خرجت والدتها على كرسيها المتحرك لينهض والد سديم وسدرة احترامًا لها مقدمًا التحية.

طلبت منه الجلوس مشيرة له بيدها مرحبة وبالفتاتين لتقول بنبرة عذبة:

- مرحبًا بكما في منزلي، في أي مرحلة عمرية أنتما؟

ردت سديم التحية لتقول على عجالة:

- أنا وأختي حديثتا التخرج، ولكن أنا مقر عملي هنا في إحدى الجرائد، وسدرة أختي تعد دراسات عليا بالنظم الإدارية هنا في الأكاديمية.

ابتسمت لهما نازلي وهي تشبك يديها:

- أهلًا بكما مرة أخرى تشرفت بوجودكما ووجود والدكما. لكني لا أسكن سوى طالبات كما موضح بالإعلان.

نظرت لها جلنار بتوجس وهي تستند على عصاها لتقول:

- لكن أمي...

- انتظري جلنار.

قالتها نازلي بهدوء.

تقدم فضل في جلسته على الأريكة لحافتها ليقول محاولًا إقناعها بعدما استشف ظروفها الخاصة هي وابنتها متفهما قلقها:

- سيدتي الفاضلة، أنا أب لفتاتين. لا أملك أولادًا، وأتفهم قلقك من المشاكل ورغبتك في تأجير الشقق لطالبات ينشغلن في الدراسة، ولا يفتعلن المشاكل أو تأتيهن الكثير من الزيارات. لكن نحن أبناء قرية بسيطة، وأنا كنت على وشك أخذ الفتيات والرحيل قبل رؤية ذلك الإعلان. فأنا أيضًا أرغب في وجودهما في مكان آمن وسكن فتيات فقط. أرجوكِ أن تقبلي وجودهما معكما، وأعدك ألا آتي حتى للزيارة قبل أخذ ميعاد منك.

لتقول نازلي بلباقة وهي تبتسم له:

- وأنا توسمت في حديثك خيرًا.. حسنًا، على بركة الله. لنمضِ العقود. لكنني في حاجة لأخذ مبلغ التأمين وإيجار أول شهرين مقدمًا. فنحن نمر بضائقة مالية لولاها ما عرضنا الشقق للإيجار.

ليرد فضل بفرحة:

- وأنا جاهز. لن نختلف على الأموال.

أردفت في رضا:

- جلنار، أحضري الأوراق والقلم.

لتحتضن سديم سدرة في فرح متحمستين لبداية جديدة.

أحيانًا يكون أكبر همنا هو الشعور بالطمأنينة، نبحث عنه في أعين أحبابنا ومن يقربوننا، أو في أعين غريب يحدثنا فقط، لحاجتنا السماع أن القادم خير وإن لم يكن كذلك، بضع كلمات تهدهد أرواحنا

نصدقها لأننا نريد ذلك، نحتاجها لتحثنا نكمل حينما لا يبقى لدينا نية للبقاء، وأحيانًا أخرى نكمل فقط من أجل من نحب، نخبرهم أن كل شيء على ما يرام، ونحن نحترق قلقًا لأن سلامة قلوبهم إن خُدشت ستتصدّع قلوبنا.

***

في المشفى

كانت بيسان تقف بروح منهكة تستند بجسدها على جدار غرفة العناية المركزة التي بها والدتها، رفعت يدها تعدل من وضع حجابها، دعت الله أن تخرج والدتها بالسلامة بعد الأزمة القلبية التي مرت بها، وأن يجمع شملهما بأخيها على خير.

خرج الطبيب من الغرفة لتلحق به بيسان قبل أن يذهب:

- مرحبًا أيها الطبيب. أيمكن أن تطمئنني على حال أمي؟

نظر لها الطبيب الستيني مومئًا برأسه ليرفع القناع الطبي الذي يرتديه.

ابتسم لها بوجهه البشوش ليقول:

- أنتِ بيسان إذا، لم تتوقف والدتك عن ذكر اسمك، اطمئني قد تجاوزنا مرحلة الخطر الحمد لله.

تنفست الصعداء لتقول:

- حمدًا لله.. حسنًا ما الخطوات القادمة؟

أردف الطبيب:

- فقط الراحة التامة، يبدو أن والدتك هناك ما يقلقها أو يشغل بالها. حاولي قدر الإمكان توفير ظروف نفسية جيدة لها، والالتزام بالدواء في تلك المرحلة أهم شيء حتى لا تنتكس الحالة مرة أخرى.. واه.. سأصرف لكما إذن خروج من المشفى

كمان يومين، والآن سيتم نقلها لغرفة عادية وتستطيعين زيارتها.

ضدمت بيسان واتسعت عيناها لتقول:

- ماذا؟! يومين؟!

استدركت نفسها لتشكره بابتسامة متكلفة.

أخرجت هاتفها المحمول ترسل رسالة لأخيها صلاح تخبره بآخر المستجدات، لتصلها رسالة مقتضبة منه بعدها بثوانٍ معدودة يخبرها فيها أنه سيحول لها مبلغًا ماليًا، وأن تسرع بالبحث عن سكن للإيجار.

تنفست بيسان الصعداء وهي تستعد لرؤية والدتها.

دخلت بيسان الغرفة لتسحب الكرسي المجاور لسرير والدتها.

مدت يدها تمسك بكفها المجعد تربت عليه.

أفاقت والدتها لتفتح عينيها الزرقاوين على مهل.

نطقت بضعف وبلهجة شامية محببة:

- بيسان حبيبتي، يبدو عليك الإجهاد، طمئنيني عليكِ.

قالت بيسان بحب وحنان:

- بخير حبيبتي أنا بخير ما دمتِ بخير، أخبرني الطبيب أنه سيسمح لك بالخروج بعد يومين، ولكن يجب عليكِ أن تستريحي وتنتظمي في أخذ الدواء.

لتقول والدتها:

- حسنًا حبيبتي، أين تمكثين الان؟ هل وجدت منزلًا تستأجرينه؟

- ردت بتلعثم:

- نعم بالطبع منذ مدة طويلة، سأذهب لأرتب المنزل بعد قليل وأدفع الإيجار فقد أرسل صلاح لي

اليوم النقود.

قالت والدتها وهي على وشك البكاء:

- صلاح؟ هل هو بخير؟ لم لا يتصل ذلك الولد ويكتفي بتلك المحادثات؟ أخبريه أن أمه تشتاق لسماع صوته أو رؤيته.

ابتسمت بيسان بحنان:

- سأفعل أمي، لكنه قال إن المكان بالقطاع الذي يمكث فيه لا يوجد به شبكة جيدة. ثم إنه سيلحق بنا قريبًا.

لترد والدتها:

- حسبي الله ونعم الوكيل في من فرقوا الشمل وهدموا بيوتنا فوق رءوسنا، لم يكتفوا بالنهب وسرقة أرضنا ومشاركتنا فيها غصبًا، بل أرادوا إخراجنا منها أو إزهاق أرواحنا.

- أمي أرجوكِ لا تفكري في أي شيء الآن. فقط ارتاحي. أنا سأذهب الآن لتنظيف المنزل وشراء بعض المستلزمات، وسآتي لزيارتك غدًا صباحًا إن شاء الله.

خرجت بيسان من المستشفى لتذهب لتحويل النقود التي وصلت محفظتها، فكرت في الأمر بجدية، هل تصارح والدتها بأنها لم تجد منزلًا للإيجار بعد، ومكثت بفندق يومين حتى نفدت أموالها لتقضي بعدها يومين آخرين بين الشارع والمشفى، أم ماذا تفعل؟

أثناء سيرها هائمة كادت تصطدم بشجرة على رصيف أحد العمارات القديمة.

نظرت للإعلان المعلق أمامها جيدًا لتدقق النظر فيه بسعادة، حتى كادت يغشى عليها من الفرحة، لتهرع تدخل العمارة.

عند جلنار..

كانت تقف جلنار بجوار سدرة وسديم داخل الشقة الموجودة بالطابق الثاني، والتي اختراها لأن مساحتها مناسبة لهما، ابتسمت سديم لجلنار تقول:

- حقًا أنا سعيدة أننا سنصبح جيرانًا. إن احتجتما شيئًا أنت أو السيدة نازلي فقط أخبريني، بالمناسبة أعطيني رقم هاتفك.

وافقت جلنار بسرور

لتتبادلا أرقام الهاتف.

وقفت ثلاثتهم يتناقشن في أن الشقة فقط تحتاج لتنظيف وبعض الترتيب، وأن والد سديم وسدرة سيحضر لهما بعض الأثاث المستعمل لفرش الشقة.

في ذلك الوقت كانت بيسان صعدت سلم العمارة ووصلت للدور الثاني، وكانت في طريقها للصعود لشقة جلنار، لكنها سمعت الأصوات الآتية من الشقة فدقت الباب.

فتحت سدرة الباب لها.

قالت بيسان:

- أود التساؤل عن الإعلان بخصوص الشقق المعروضة للإيجار بالعمارة.

- حسنًا لحظة، فنحن أيضًا مستأجرون جدد. سأنادي ابنة صاحبة المنزل.

ثم قالت بفضول نحو لهجة بيسان المختلفة:

- أنت لست مصرية صحيح؟

ابتسمت بيسان بهدوء لتقول بلهجتها الشامية:

- نعم أنا فلسطينية.

مدت لها سدرة يدها تسلم عليها لتحتضنها تلقائيًا.

تعجبت بيسان من ألفتها الزائدة لتبادلها الحضن.

في ذلك الوقت أتت جلنار وسديم لتنظرا بدهشة نحوهما قبل أن يتبادلا النظرات

تحمحت سديم لتقول:

- من يا سدرة؟ هل لحقت إخبار صديقاتك بعنوان السكن الجديد؟

ردت عليها سدرة وهي ما زالت تحتضن بيسان التي حاولت الابتعاد عنها لتجذبها مجددًا:

- بلى إنها بيسان جارتنا الجديدة.

حدقت فيهم جلنار لتقول بتعجب:

- ماذا؟! هل أجرت أمي شقة أخرى وأنا لا أعلم؟!

- بل ستفعل أمك.

قالتها سدرة بتهور.

لترد عليها جلنار:

- عفوا؟

لتقول سدرة:

- هذه جلنار ابنة صاحبة العمارة.

ابتعدت بيسان عن سدرة لتقول محاولة تفسير الموقف:

- أنا بيسان أتيت لأسأل عن الإعلان المعلق أسفل العمارة. فأنا أرغب في استئجار شقة هنا.

ردت عليها جلنار متعجبة من لهجتها:

- هل أنت شامية؟

- نعم أنا من فلسطين، وانتقلنا لمصر قريبًا، ولا أخفي عنكِ ظروفي أعدُّ في الشارع أنا وأمي ونحن في حاجة لهذا السكن كثيرًا.

ردت جلنار بتردد:

- نعم ولكن هل قرأت شروط الإعلان؟

- نعم، وسأدفع مبلغ التأمين وإيجار شهرين مقدمًا.

لتنفي الأخرى:

- ليس هذا ما قصدته، أقصد أن السكن طالبات فتيات فقط.

تابعت بيسان بحرج:

- صراحة أنا سأسكن مع أمي بمفردنا. كما إنني لم أكمل دراستي، فقد التحقت بالعام الجامعي الأول ثم خرجت من الجامعة، لم تسمح الظروف لأكمل.

ردت جلنار بتفهم:

- لا عليك ولكن لا يوجد رجال معكما صحيح؟

قالت بيسان:

- لدي أخ ولد، لكنه لن يعود الآن، أمامه بعض الوقت. أعدك عند عودته سنغادر فورًا، وسيتدبر هو أمر سكننا.

ولكن هل لي أن أنتقل هنا خلال يومين؟ فوالدتي بالمشفى ولا مكان لدي للمكوث فيه، كما إنه عند خروجها تحتاج الاستقرار مباشرة.

قالت جلنار بابتسامة واسعة:

- يمكنك الاختيار بين الشقة المقابلة لهذه أو شقتين آخريين بالطابق الأول، ويمكنك اعتبار أننا مضينا العقد بكل تأكيد، فسترحب أمي كثيرًا بوجودك معنا.

ابتسمت لها بيسان لتتقدم تحتضنها بسعادة:

- لا أعلم حقًا كيف لي أن أشكرك.. حقًا أنت إنسانة رائعة.

نظرت سديم لسدرة

لتتقدما نحوهما لتقول سدرة بمرح:

- رائع سنحظى بالمرح يا فتيات.

ليتشاركن الضحك بعدها.

قالت جلنار وكأنما تذكرت شيئًا:

- بيسان الشقة في حاجة لبعض الترتيب والأثاث، لتمكثي معي اليوم، سترحب أمي بذلك.

قالت بيسان بأسى:

- صراحة لا أملك أموالًا كافية للحصول على أثاث ولو مستعمل، سأتولى أموري، لا تقلقي.

مدت سديم يدها تحاوط كتفها قبل أن تقول:

- لا تقلقي حبيبتي سأتولى أمر الأثاث. ربما ما زلت لا تعرفين اسمي، فأنا سديم وهذه أختي سدرة ومن الآن فصاعدًا أنت أختنا.

قالت بيسان وقد التمعت عيناها تأثرًا:

- لن تكفيك كل كلمات الشكر. لكني لا أود أن أكلفك الكثير، سأتدبر أمري حتى يرسل لنا أخي الأموال بداية الشهر القادم.

- لا بيسان من فضلك دعيني أشعر بأن لا كُلفة بيننا. ثم إني لن أقوم بتجهيز الشقة كاملة، سأتولى أمر غرفة النوم فقط، حتى تستطيعين الراحة أنتِ ووالدتك.

قالت جلنار:

- ونحن نملك كنبًا زائدًا وطاولات لا نحتاجها أو نستعملها حقًا، لمَ لا تستخدمينها الآن؟

وزعت بيسان نظراتها بينهن لتقول:

- لا أعلم ماذا أقول حقًا. أنا عاجزة عن التعبير.. ربما التقينا الآن أول مرة، لكن في ذلك حكمة من الله أن أجدكن سندًا وعونًا لي في وقت شدة كذلك.

ضممن بعضهن في محبة مستبشرات بقدر قادم يجمعهن معًا.

***

لا شيء مضمون في تلك الحياة، جميع الحقائق زائفة حتى الصادقون بشكل أو بآخر كاذبون، ستظهر الحياة وجهها الاخر في يوم ما، ستريك بشاعة البشر لتتمنى بعدها لو عشت مخدوعًا طوال عمرك خيرًا من ذلك، هناك من يتجرع نصيبه من الألم دفعة واحدة، وهناك من تذيقه الحياة مرارة حظه تقطيرًا.

وهي تجرعت الألم بعد الأمل، لذا مرارته تضاعفت بقلبها، تبكي حالها وحظها ولكنها تستحق. هي مذنبة وإن كانت مريضة، خدعت الجميع بخدعة ظنتها ستستمر، بطريقة ما كانت سببًا في إيذاء آخرين بكل تأكيد، ونسيت أن دعوتهم فيها سترد، والأذى لم يظلها وحيدة تلك المرة، بل فضيحة مدوية ضربت بسمعة عائلتها عرض الحائط.

كانت كاميليا تجلس في غرفتها على سريرها تضم وسادتها وخيبتها وحسراتها المتتالية.

فكرت جديًا في الانتحار، ولكنها خشيت أن تفشل في ذلك متسببة في فضيحة أخرى للعائلة. حينها سيزهق والدها روحها دون أي إحساس بالذنب، ولن تناله نحوها شفقة.

ماذا كانت تنتظر؟! أو ماذا كانت تتوقع منهما غير ذلك؟! هي تعلم طبيعة شخصيتهما جيدًا وأن المال والجاه والسمعة أهم من أي شيء.

كاميليا ابنتهما الوحيدة، الجميلة المهذبة، شرفهما الذي نعتز بعدما كُشف أمرها..

سارقة، لصة..

سرقت فرحة أمها واغتالت غرور أبيها.

تنهدت بعمق لتفكر في حل. ما دامت ستحيا لم تُعذب إذًا؟ ما زال أمامها سنوات أو أيام تحياها. لم

لا تنال فرصة أخرى؟

هما لن يتقبلا ذلك. سيظنانها مزحة سخيفة أو نكتة خائبة، إن طلبت منهما العفو حتى لو توسلت لهما ثلاثة أيام بلياليهم.

إذًا هي ستبدأ بمفردها.

سترحل ولن تترك أثرًا.

هي في نظرهما مذنبة.. مخطئة.. تستحق الحرق.. إذًا لتكن مذنبة سعيدة خيرٌ من مذنبة مُعاقبة عقابًا لن ينتهي.

لو كانت تعلم أنهما سيسامحانها، فقط لو تعلم أن الأيام قد تنسيهما، أو أن توبتها ستمحو كلمة مذنبة من قاموسهما، لبقيت أسفل أقدامهما لعشرة أعوام كاملة تترجاهما وتصلي لله أن يسامحاها، وتفعل الخير لمحو الأثر السيئ..

سترتكب خطأ أخيرًا لتبدأ بعده الصواب..

الساعة الواحدة صباحًا وقت مناسب جدًا لتمزيق صفحات الماضي.

جمعت كاميليا بعض ملابسها ومستلزمات أساسية قد تحتاجها في الفترة القادمة، أخذت جميع مصوغاتها الذهبية بما فيها الشبكة التي طلب طليقها منها إرجاعها. لكن ليس مهمًا فوالدها قادر على تعويضه.

وارتدت عباءة سوداء وطرحة تماثلها.

ألقت الحقيبة أولًا من نافذة الغرفة للحديقة، لتخرج بعدها تتسلل في خفة.

دخلت غرفة والدها التي فيها الخزنة المالية، كانت تحفظ رقمها السرى جيدًا، تاريخ خطبتها.

كتبته لتنفتح أمامها خزنة بها الكثير من النقود، بل آلاف النقود وعقود صفقات وأشياء أخرى لم تكن

في حاجة لها.

مدت يدها تسحب من النقود ما يكفيها حتى تبحث عن عمل. تلك المرة هي تسرق لغرض نبيل. تلك المرة هي لا تشعر بالسعادة وهي تسرق، أو بالمغامرة. تلك المرة هي تشعر بالخوف وتستغفر الله أن يسامحها ويساعدها في تأسيس حياة جديدة..

خرجت من المنزل بعدما تركت لهما رسالة تخبرهما فيها ألا يحاولا البحث عنها أو التواصل معها، وأنها ستعاود لتكلمهما بعد فترة، ولكن ليس الآن.

أثناء خروجها أخرجت شريحة الهاتف المحمول تُلقيها في الحديقة مُقررة شراء أخرى جديدة حتى لا يستطيعا تتبع أثرها، وحملت حقيبتها ورحلت.

استقلت كاميليا سيارة أجرة تقلها إلى محطة القطار وانتظرت هناك. موعد أول قطار متحرك نحو القاهرة بعد الفجر.

جلست تنتظر في خوف ورهبة من أن يلحق بها والداها، رغم يقينها من أنهما يغطان في نوم عميق الآن.

قامت بالضغط على قلبها علها تُهدئ من ضربات قلبها المتسارعة، وجلست لانتظار القطار.

- سدرة هيا سنتأخر، وهذا أول يوم لى في العمل.

قالتها سديم على عجالة وهي تعقد رباط حذائها الرياضي، لتأتي سدرة متأففةً:

- لا أعلم لم كل تلك العجلة؟! ماذا لو كنا طلبنا إجازة ليومين إضافيين؟

- حسنًا سأذهب أنا للعمل وابقي أنت بين جدران الغرفة بمفردك.

- لا سأنزل معك فليس بعدما أيقظتني من النوم.

فتحت سديم الباب لتقابل بيسان في طريقها للنزول.

- مرحبًا بيسان.

نطقت بها سديم ببشاشة، لتبتسم لها بيسان:

- بأفضل حال، كيف حالك وحال سدرة؟

- بخير، وسأفصل من عملي في أول يوم بسبب تباطؤها ذلك.

هيا سدرة.

خرجت سدرة من الباب لترحب ببيسان هي الأخرى:

- كيف كانت ليلتك أمس؟

ردت بيسان:

- مرت على خير، كنت أخشى أن أزعج جلنار ووالدتها صراحة لكن السيدة نازلي رحبت بوجودي كثيرًا، حتى أنها رفضت أخذ التأمين مني، وبعد إصراري أخذت الإيجار فقط.

قالت سديم بابتسامة واسعة:

- إنها حقًا سيدة رائعة، لا أعلم ما الظروف التي مرتا بها لكن أصلهما الطيب لم يتغير.

أين تذهبين الآن؟ هل ترغبين أن تذهب سدرة لإيصالك قبل ذهابها للأكاديمية؟

- لا حبيبتي شكرًا. فأنا سأذهب لزيارة والدتي في المشفى، وتجهيز أوراق الخروج. ستخرج غدًا..

قالت سديم:

- حسنًا إذًا لنسهر معك اليوم نرتب الشقة لاستقبال والدتك، ونتناول العشاء سويًا.

ابتسمت بيسان بسعادة

لتقول:

- لقد اشتقت لأجواء كتلك حقًا. حسنًا بكل سرور، لنطلب من جلنار أيضًا الحضور، فأنا أراها منطوية على نفسها تحمل الهم رغم صغر سنها.

قالت سدرة:

- وأنا أيضًا لاحظت ذلك، أعتقد أنها ووالدتها مرتا بحادث أو شيء كهذا. فمن غير المعقول تصادف مسكها لعصا أثناء السير وعجز والدتها.

لترد سديم على عجالة وهي تنظر في ساعتها:

- حسنًا إذًا سأقوم بندهها عند عودتي من العمل وإخبارها أننا سنتجمع في تمام الثامنة مساءً. والآن هيا أسرعا كفاكما حديث.

***

وصلت سديم مقر عملها الجديد يملأها الحماس والشغف.

نظرت نحو الساعة للتأكد من عدم تأخرها. تقدمت للدخول من باب الجريدة بخطوات واثقة وثابتة.

لم يكن مقر العمل بتلك الفخامة أو الاتساع، فقد كانت جريدة خاصة جديدة، لكن رغم ذلك مشهورون بالالتزام. أعجبت جدًا بأسلوب عملهم والأخبار التي يتناولونها، كما كان المرتب مناسبًا لها كبداية، فكان أفضل من جرائد أخرى في نفس مستوى الشهرة. فقط ما كانت تستغربه هو اختفاء مؤسس تلك الجريدة والقائم عليها، فمنذ تقدمها لفرصة العمل ومرورها بالاختبارات لم تقابله، وكأنما يرتدي قبعة الإخفاء أو اسمه سر حربي لا يذكره أحد.

نفضت عن عقلها تلك الأفكار وتقدمت نحو السكرتيرة التي تجلس في مكتب مقابل للباب مباشرة.

أخرجت بطاقتها تقدمها لها قائلة:

- مرحبًا أنا سديم. تقدمت منذ أسبوعين لفرصة عمل كصحفية بالملحق الأدبي، وقبلت بالاختبارات.

ثم أخرجت هاتفها تريها رسالة البريد الإلكتروني التي توضح قبولها.

نظرت لها السكرتيرة نظرة تقييمية شاملة دون أن تنظر نحو الرسالة لتقول بجمود:

- نعم لا داعي لتريني الرسالة أعرفك.

ابتسمت لها سديم نصف ابتسامة لتقول:

- حسنًا هل يمكنك أن تخبريني نظام العمل؟ أنا يمكنني البدء من اليوم.

- ليس قبل أن تقابلي الأستاذ سهيل مؤسس الجريدة.

حاولت سديم التخفيف من جدية الأمر قائلة:

- أخيرًا!! قد ظننته شبحًا لا يمكنني رؤيته.

أخفضت السكرتيرة من عويناتها تنظر لها شزرًا لتتدارك سديم الأمر:

- حسنًا.. آسفة.

لتنهض الأخرى ترتب بعض الملفات في يدها قائلة:

- اتبعيني

مرتا بممر طويل ولكن ضيق بعض الشيء.

دقت السكرتيرة الثلاثينية التي سبقتها باب غرفة تقع في نهاية الطرقة، لتدخل بعدها ثم خرجت بعدها بثوانٍ تسمح لها بالدخول.

تقدمت سديم وهي تُعدل من وضع حقيبة الظهر التي ترتديها، وتتأكد من عقدة شعرها.

دخلت سديم لتفتح عينيها متعجبة من المنظر.

رفعت أحد حاجبيها في دهشة.

كان الأستاذ سهيل ذلك في بداية الثلاثينات، يرتدي قميصًا مفتوحًا أول ثلاثة أزرار منه، كمن يلعب ملاكمة بعضلاته البارزة، كما كان في فمه لفافة تبغ غير مشتعلة.

نطق سهيل بفظاظة وهو ينظر لها نظرة تقييمية من رأسها لأخمص قدميها، حيث كانت ترتدي ملابس فتاة مراهقة في السادسة عشر لا صحفية ذاهبة لأول يوم عمل لها:

- فيمَ تحدقين أنت؟

رفعت يدها نافية:

- لا شيء.. لا شيء.. مرحبًا سيدي.

طلب منها الجلوس مشيرًا بيده نحو كرسي خلف المكتب الذي يجلس عليه.

لتجلس في تردد

دقيقة... خمس... عشر...

مر فوق العشر دقائق وهو لا ينظر نحوها حتى، بل يقرأ الملفات الموضوعة أمامه في ديناميكية شديدة ماسكًا قلمًا يدون به بعض الملحوظات، ويؤرجح لفافة التبغ بين شفتيه.

اقتطع الصمت بعدها وهو يقول:

- هل تعلمين شروط العمل معنا في الجريدة؟

ردت وهي تومئ برأسها:

- نعم أحفظها.. الالتزام، الدقة في تحري الأخبار، الشفافية والأمانة...

ليكمل هو بنظرة غير مفهومة:

- الصدق وعدم الخيانة، فأنا قد أتغاضى عن أي شيء عداهما.

قالت وهي تعقد حاجبيها:

- عفوًا؟ أي خيانة؟

ليقول:

- لا شيء يمكنك البدء في العمل من اليوم، ولن نمضي عقودًا للعمل إلا بعد أسبوع حتى تفكري إن كنت تودين الإكمال معنا أم لن تستطيعي وترغبي في الانسحاب. والآن تستطيعين أن تتفضلي ستشرح لك عليا السكرتيرة طبيعة عملك.

نهضت تتنفس الصعداء لتقول وهي تتمنى الهروب من هذا اللقاء المربك:

- شكرًا لك. حسنًا سأفعل ما في وسعي.

إلى اللقاء.

لم يرد عليها، وأشار بيده أن تخرج.

خرجت سديم من المكتب لتجد عليا السكرتيرة في استقبالها، تأخذها نحو غرفة أخرى في نفس الممر لكنها لها باب زجاجي.

كانت الغرفة متسعة وبها ثمانية مكاتب، كل أربعة بجانب بعض، وفي اتجاه متقابل.

دخلت سديم من باب الغرفة لينظر نحوها الجميع.

أخذت عليا تعرفها أسماءهم وقاموا بتحيتها في فتور سوى فتاة واحدة فقط كانت تبدو أصغر منهم سنًا وأقرب لها عمرًا. ظهرت عليها السعادة وضحكت لها ببشاشة.

قالت عليا:

- هذا مكتبك. وأشارت إلى المكتب الفارغ المجاور لتلك الفتاة.

لتكمل:

- وهذه بسمة. ستخبرك بالمطلوب منك هذا الأسبوع.

نهضت بسمة من على كرسي المكتب لتتوجه نحو مكتب سديم

قائلة:

- أهلًا سديم. تشرفت بمعرفتك وأتمنى أن نكون صديقتين.

ابتسمت سديم بخفة لتقول:

- وأنا أيضًا سعيدة برؤيتك أستاذة بسمة.

فضلت حينها الاحتفاظ باللقب حتى تسمح لها الأخرى إن كانت ترغب في أن تناديها باسمها.

حاوطت بسمة كتفها لتقول بود:

- لمَ الكُلفة؟ ستصيرين زميلة عمل وصديقة.

ثم أخفضت صوتها لتقول بمرح:

- وربما نتحول لقاتلتين متسلسلتين نتخلص من عليا الثلجية وسهيل الأرعن ذلك، ثم نقضي على باقي الفضائيين الموجودين بالمكتب.

ضحكت سديم بصوت مرتفع لينظر نحوها من في الغرفة بتعجب.

طلبت منها بسمة أن تتبادلا أرقام الهاتف وترتبا معًا موعدًا للخروج، لتعجب سديم بالفكرة خاصة أن هناك الكثير من الأسئلة العالقة بذهنها حول سهيل الغريب لا العمل فقط.

حينما يهيم الإنسان على وجهه لا يعلم أين يذهب، ولم عليه أن يختبئ.. هل يستمر في السير حتى ينكفئ على وجهه، فقط حتى لا يُكشف أمره، أم يتراجع ويخضع لنصيبه من أسى معلوم خير له من مستقبل بلا ملامح؟

كانت كاميليا وصلت القاهرة بعد الظهيرة، بحثت عن محل ذهب قريب من محطة القطار لتبيع فيه مصوغاتها الذهبية، وكان الأمر يسيرًا كونها تملك

فواتير الشراء، حصلت على مبلغ نقدي جيد يكفيها لعدة شهور.

أخذت تفكر في أي منطقة قد تبحث عن سكن أو فندق تمكث فيه حتى ترتب أمورها وتبحث عن شقة للإيجار.

عصرت ذهنها جيدًا محاولة تذكر أسماء مناطق زارتها أو تعلمها أو مكان المدرسة التي عملت بها بعد تخرجها.

تذكرت المرات القليلة التي زارت بها القاهرة مع والدها وهي صغيرة، ولكن في ذلك الوقت كانوا يزورون مناطق سياحية أو أثرية.

فكرت بآخر مرة زارت فيها القاهرة كانت مع حسام طليقها حيث دعوة وجهت له ولها من مديره في العمل تهنئة بخطبتهما.

استطاعت بعد مدة بسيطة تجميع الاسم.

كان المعادي، منطقة راقية حد علمها من حسام وقتها، والشوارع بها هادئة.

ضحكت بسخرية حتى كادت عيناها تدمع وهي تتذكر خططه المستقبلية معها بأن ينتقلا للعيش في العاصمة وشراء شقة بالمعادي بعد زواجهما. لكن بالطبع بعدما يأخذ حسام الإذن من عمه والدها..

لتقرر أن تأخذ سيارة أجرة وتتوجه نحو المعادي.

***

في المساء

اجتمعت الفتيات في شقة بيسان.

أحضرت سديم لجلنار كرسيًا تجلس عليه، وطلبت منها أن تنتظر حتى يقوموا بتنظيف الصالة وترتيبها ليجلسن سويًا..

قسمن الشغل على ثلاثتهن حتى يستطعن الانتهاء

سريعًا.

كانت جلنار تراقبهن وهي تشعر بالعجز والضيق. نظرت للعكاز المجاور لها لتشعر بالضيق والاختناق، فأمسكت هاتفها تعبث به.

لاحظت سديم تأففها فحاولت إشراكها في مساعدتهن فضلًا عن شعورها بالعجز.

حملت بعض وسائد الكنب وتقدمت نحوها تطلب منها أن تقوم بتركيب غطائهم، لتبتسم جلنار بسعادة ورضا..

بعد مدة قليلة

كانت انتهت بيسان من مسح الأرضية، وقامت كل من سديم وسدرة تنظيف الجدار وسقف الشقة، قامت سديم بفرد حصير كبير على الأرضية كانت حصلت عليه من أجل بيسان عوضًا عن السجاد لارتفاع ثمنه.

وقامت سدرة بتوزيع بعض الوسادات على الأرض.

وقفت سديم في منتصف الصالة لترفع المقشة التي تمسكها بيدها وكأنها ميكروفون إذاعي:

- آنساتي العزيزات، نظرًا لأدائكن المبهر والسريع؛ قررت أن أكافئكن.. ستحظين اليوم بأمسية رائعة، ومن حظكن الرائع أني المشرفة عليها.

قالت بيسان بفرحة:

- لا تعلمن مدى سعادتي لقضائكن الليلة معي، لقد قمت بإعداد عشاء فلسطيني أتمنى أن ينال إعجابكن، فقد أعددت المقلوبة وفطائر الزعتر

وقالت سدرة:

- وأنا أعددت الحلوى وبعض المشروبات الباردة، وأحضرت النقانق والمقرمشات وعصير البرتقال والحليب.

نظرت لسديم التي فهمتها لتقول:
- اليوم حفل بيجامة.
قالت جلنار وبيسان في نفس اللحظة بصدمة:
- ماذا؟!
لتقول سديم:
- هيا بيسان غيري ملابسك تلك وارتدي بيجامة، وأنا وسدرة سنذهب لتغيير ملابسنا سريعًا ونأتي. من الجيد أن جلنار ترتدي بجامة فعليًا.
***
وضعت الفتيات الطعام في أطباق على طاولة جوار كرسي جلنار، وجلسن هن على الأرض، قالت سديم وهي تحتضن طبق الفطائر:
- أول مرة أتناول فطيرة زعتر بتلك الحلاوة. سلمت يداكِ.
لتكمل سدرة:
- والمقلوبة رائعة. سمعت عنها دومًا لكن هذه أول مره أتناولها.
أشادت جلنار أيضًا بنفس بيسان في الطهي لترتفع معنوياتها بحديثهن.
- حسنًا ماذا لو نلعب الصراحة؟
قالتها سديم وهي تضع الطبق جوارها.
- أحضري زجاجة فارغة يا بيسان من فضلك.
قالت بيسان بلهجة مستغربة:
- ما هذه اللعبة؟
لترد جلنار:
- سأشرحها لك. كنت ألعبها مع زملائي في المدرسة.
في هذه اللعبة بيسان نقوم بتدوير الزجاجة،

وحينما تشير مقدمتها لشخص ما يكون هو الذي سيَسئل ، والناحية الأخرى تكون تجاه من سوف يسئله.

أحضرت بيسان الزجاجة

لتقوم سديم بإدارتها، ليستقر غطاء الزجاجة عند جلنار والجهة الأخرى تجاه سدرة.

اعتدلت سدرة في جلستها موجهة بصرها نحو جلنار لتقول:

- لو حصلتِ على مصباح علاء الدين، وظهر لكِ جني عرض عليك تحقيق أمنية واحدة، ماذا ستختارين؟

أخفضت جلنار بصرها تفكر ثم قالت:

- لا شيء، أمنية واحدة؟! ماذا أفعل حينها؟ هل سيمكنني الاختيار بين شفاء أمي أو عودة أبي مجددًا؟

لتكمل بأسى:

- أو أتمنى مثلا ألا يتخلى عني أعمامي كما فعلوا؟ لربما اخترت أن أشفى وأستطيع الوقوف على المسرح ورقص الباليه مجددًا. أمنية واحدة لا تكفي، لا فائدة من تحقيق شيء واحد وسط كل النقص هذا.

نظرت سديم لجلنار وهي تعلم أن كلمات المواساة كلها لن تفيد بشيء.

لتقوم بإدارة الزجاجة مجددًا.

استقر الغطاء تلك المرة عند سدرة والجهة الأخرى نحو جلنار.

فكرت جلنار مهلًا

لتقول وهي تنظر لسدرة:

- هل يمكنني سؤالك إن كنت تستطيعين تغيير

شيء في نفسك، ماذا ستختارين؟

لتقول سدرة

سأختار أن أكون سديم.

نظرت سديم نحوها بصدمة

لتبتسم سدرة قائلة:

- نعم سديم سأختار أن أكون أنتِ.

قالت سديم وهي تريد أن تعلم ما يدور في خلدها:

- أكملي.

لتقول سدرة:

ربما أول مرة أقول هذا، ولكن دومًا كنت في موضع مقارنة بسديم سواء من حيث الجسد أو المستوى التعليمي أو حتى الشخصية.

أتعلمن؟ أمي دومًا تخبرني أننا كتوأمتين سديم أخذت الجميل كله لها وحدها وتركت لي السيئ.

تحشرج صوتها لتكمل:

- لكنني والله ما أغار منها، بل أحبها أكثر من نفسي وهي تعلم، أنا فقط أريد أن أكون قوية مثلها. فهي دوما من تدافع عني وتأخذ لي حقي منذ كنا صغارًا.

تزحزحت سديم نحوها تحتضنها لتقول:

- بل أنتِ الأفضل سدرة. لطالما تمنيت أن أملك قلبًا حنونًا وروحًا طيبة نقية تشبهك، ربما أنا أستطيع أخذ حقي، لكن الكثير يستطيعون فعل ذلك. القليلون والمتميزون هم من يملكون قدرة على العفو والتسامح مثلك يا عمري ونصفي الآخر.

حاولت بيسان تخطي هذا الموقف المحرج لتقوم بتحريك الزجاج، فشلت في إدارتها أول مرة لتعيد الكرَة مرة أخرى، وتلك المرة استقر غطاء الزجاجة نحو سديم وجهتها الأخرى لبيسان.

حاولت سديم إخراجهن من جو الحزن هذا مُبدّلة الأدوار تلك المرة لتسأل سؤالًا شخصيًا لم تحسب أن تكون إجابته هكذا:

- بيسان هل لديك حبيب؟

ضعقت بيسان كمن أُلقي عليه دلو ثلج.

انتظرت سديم للحظات ولكن بيسان كانت كمن تجمد

لتنطق سديم:

- آسفة إن كان السؤال محرجًا أو شخصيًا بالنسبة لك.

قالت بيسان متغيبة عن الواقع:

- نعم لدي حبيب يُدعى نبيل.

استرسلت في الحديث وهي تنظر لنقطة في الفراغ، كأنما ترى ما لا يستطعن أن ترينه قائلة:

- حبيبي وصديقي، كنت كل شيء في حياته، فهو ابن عمي وتربى معنا بعد استشهاد أسرته وهو في السابعة من عمره، كان يكبرني بثمانِ سنوات، نشأت على يده، كان من يُعلمني السير وأول من اشترى لي الحلوى.

ابتلعت ريقها لتقول

اتفق مع والدي على أن يتزوج بي منذ كنت في الخامسة عشر.

وبعد استشهاد والدي اتفق مع أخي الكبير، وقطع معه عهدًا أن يحفظني في عينيه ويفديني بروحه.

كان يُهديني الأغاني ويكتب لي الشعر.

لتكمل:

- لكنه استشهد هو وأخي الأكبر في نفس اليوم

منذ عامين.

أدمعت عيناها

لتقترب سديم وسدرة منها تحتضناها، شاركتاها البكاء. لم تستطيعا التهوين عليها فقاسمتاها الحزن.

تحركت جلنار بعكازها نحوهن تبكي هي الأخرى لينهضن يضمونها سويًا.

قالت بيسان بعدها:

- اليوم نحن لم نتشارك الطعام والخبز والملح فقط، بل تشاركنا المشاعر وتشاركنا الحزن، فأتمنى أن نفرح معًا.

ليشرعن في الابتسام مؤكدات على كلامها.

***

وصلت كاميليا حي المعادي لتمر بأحد المقاهي تطلب القهوة، اختارت كاميليا مقهى صغيرًا يقع بين جزعين شجرتين ضخمتين تلتف أغصانهما حوله مشكلة مزيجًا مريحًا للبصر والروح.

جلست كاميليا تضع رجلًا فوق الأخرى بأناقة تراقب المارة، حيث اختارت الجلوس حول الطاولات الخارجية.

كانت المعادي مساءً رائعة، يعمها الهدوء كما تُحب.

شاهدت فتيات يركبن العجل، وأولاد يمارسون التزلج، لتتذكر في طفولتها عندما طلبت من والدها إحضار عجلة لها، ورغم قدرته المالية رفض لأن الفتيات لا يركبن العجل في الصعيد.

وضعت في خطتها القادمة أن تشتري عجلة، ربما تحتفظ بها بعد ذلك لابنها أو ابنتها في المستقبل.

أحضر لها النادل القهوة لتشكره، سألت كاميليا في فضول:

- إن كان يمكنك مساعدتي، هل يوجد فندق قريب من هنا؟

هز رأسه نافيًا:

- لا سيدتي.

ليرد بعدها كأنما تذكر شيئًا وهو ينظر للحقيبة الضخمة جوارها:

- إن كنت ترغبين في المكوث هنا لفترة؛ فيوجد شقة للإيجار من حظك أنها الأخيرة الخالية بالمبنى.

اتسعت ابتسامة كاميليا لتظهر أسنانها

قائلة بحماس:

- هل يمكنك أن تدلني على مكانها؟

- بالتأكيد فالمبنى يقع في نهاية الشارع.

وأشار لها نحو عمارة محاطة بسور وحديقة.

نهضت في الحال مخرجة من حافظتها ضعف ثمن القهوة، لينطق الآخر:

- لكن سيدتي ذلك كثير جدًا.

لم تكن تستمع له.

حملت حقيبتها ورحلت دون أن تأخذ حتى قهوتها.

وصلت كاميليا أمام المبني لتقرأ الإعلان. شعرت بالاطمئنان وهي ترى كلمات (للبنات فقط).

ابتسمت متفائلة لتلج إلى العمارة.

صعدت كاميليا للدور الثالث كما موضح بالإعلان، حيث شقة نازلي وجلنار.

دقت الجرس

لتتفاجأ برؤية سيدة على كرسي متحرك تفتح الباب لها.

نطقت بتردد:

- أهلًا لقد جئت بخصوص الإعلان الموضح لشقة

بالعمارة.

ابتسمت لها نازلي لتقول:

- تفضلي ابنتي.

دخلت كاميليا المنزل لتنظر حولها.

لفت نظرها أن ألوان المنزل شبه الأثري من الخارج مختلفة تمامًا من الداخل.

فكانت الشقة تجمع بين اللونين الأخضر الخافت والأبيض، وكانت الإضاءات هادئة لكن رغم ذلك تُشعرك بدفء المكان، أما عن الأثاث فرغم بساطة القطع كانت توحي بالرقي والذوق العالي. كما كان يوجد الكثير من الزرع واللوحات معلقة على الجدار.

دققت في إحدى اللوحات الموضوعة أمامها لترى صورة للسيدة التي استقبلتها وهي تقف على قدميها جوار رجل يبدو أنه زوجها، وفتاة صغيرة تبدو مبتهجة، ملامحها تشبه السيدة بدرجة كبيرة.

قالت كاميليا في سرها بشفقة:

«سبحان الله! إذًا هذه السيدة ليست عاجزة من البداية»..

لاحظت نازلي وقوف كاميليا مكانها ثابتة في منصف الصالة

لتطلب منها التقدم لغرفة الصالون.

دخلت كاميليا الصالون لتجلس على الكنبة المقابلة لها، وتضع حقيبتها الضخمة جوارها.

قالت نازلي وهي تنظر نحو الحقيبة:

- هل ليس لديك مكان تمكثين فيه اليوم؟ كيف حبيبتي والوقت متأخر هكذا؟

أسبلت كاميليا عينيها في حرج

لتقول نازلي:

- حسنًا لا عليك. أخبرينى فقط ظروفك وسنصل لحل.

- أنا أُدعى كاميليا تخرجت حديثًا من كلية الألسن، ولكنني لست من العاصمة هنا، فأنا من إحدى مدن الصعيد، وجئت هنا للبحث عن شقة إيجار لرغبتي في السكن في حي المعادي، وأخبرني عامل في مقهى موجود في بداية الشارع عن وجود آخر شقة فارغة بهذه البناية.

صححت نازلي لها المعلومة:

- يوجد شقتان فارغتان، لكنني سأقوم بتأجير واحدة منهما فقط وأكتفي بذلك.. حسنًا لمَ جئتِ تسكني في العاصمة وحدك، ما دمتِ لستِ طالبة ومن الصعيد؟ وأين أهلك؟ ولمَ تحملين كل أغراضك بحثًا عن شقة في وقت متأخر هكذا؟

قالت كاميليا وقد شعرت بالتوتر:

- لو غير مناسب مع حضرتك تأجير الشقة لي سأرحل إذًا.

استشفت نازلي توترها لتقول:

- لا عزيزتي لست أقصد، فقط أخبريني هل لك ظروف خاصة؟

أخذت كاميليا تخدش أصابعها بأظافرها

لتقول وهي تتحاشى النظر إليها:

- نعم يوجد خلافات بيني وبين أهلي بسبب طلاقي قبل فرحي بأيام، لذا هربت من المنزل.

قالت نازلي وهي تشعر بالتعاطف نحوها:

- صغيرتي مررت بالكثير أنت أيضًا.

ثم أضافت وهي تشعر بالخوف من مشاكل ربما لا تقوى على مواجهتها الان

- لكن ماذا لو لحق بك والديك أو أهلك؟ ألن

يتسببوا في مشاكل؟

فأنت ترين ظروفي. حينها ستكون كارثة وأنا مسئوليتي الحفاظ على حماية وأمان فتيات البناية.

قالت كاميليا بلهفة:

- أعدك لن أتسبب لكنّ في أي مشاكل. لن يستطيع أحد الوصول لمكاني، كما أني لن أظل هاربة دومًا، أنا فقط في حاجة لبعض الوقت حتى أستجمع قواي وأستطيع المواجهة.

ابتسمت لها نازلي لتقول وهي تتحرك بكرسيها نحو الطاولة تُحضر عقد إيجار الشقة:

- إذًا لنمضِ العقد الآن، ويمكنك المكوث معي أنا وابنتي حتى تقومي بتنظيف شقتك غدًا صباحًا، وترتيب أغراضك.

بعض العلاقات تكون طوق نجاة تهبط علينا من السماء كهدية الله لنا في أوقاتنا العصيبة، ثمة أناس لا نعرفهم يرسلهم الله ليربتوا على قلوبنا. يشاركوننا الحياة فيحملون عنا جزءًا من ثُقلها.. غريب لا تعرفه يغدو أقرب من مقربين صاروا غرباء عنك في أول مواجهة بعد ظرف صعب مررت به..

صعدت جلنار لشقتها بمساعدة سديم وبيسان، لتتفاجأ بوجود فتاة تمازح والدتها وتتناولان العشاء سويًا.

بدأت نازلي الحديث قائلة:

- تعالي جلنار فهذه كاميليا المستأجرة الجديدة.

تعجبت كاميليا من استناد جلنار على عكاز رغم حديث والدتها عن كون ابنتها راقصة باليه ماهرة، لتنهض تساعدها في الجلوس.

سلمت عليها جلنار في ود ظاهر

لتبتسم كاميليا نحوها بشفقة وحنان.

جلست ثلاثتهن حول المائدة لتقول نازلي موجهة الكلام لجلنار:

- اتصل بي أيان اليوم يقول إنك لا تُجيبين على اتصالاته، اتصلي به غدًا.

تجاهلت جلنار الرد عليها، لتقول نازلي بحزم تلك المرة:

- جلنار.

ردت جلنار بثورة وسخط:

- لا لن أتصل. فهو يشبه والده وأعمامه.

لم تكن كاميليا تفهم ما يحدث فقررت الانسحاب منعًا للحرج، طلبت من السيدة نازلي أن تدخل هي غرفة جلنار والتي سبق وبدلت ملابسها بها لتنام، فسمحت لها الأخرى وهي ترغب في الانفراد بابنتها.

انكفأت جلنار على طبقها تدعي أنها مشغولة في تناول الطعام تحت أنظار نازلي المتفهمة لمشاعرها.

قالت نازلي:

- أنتِ تعلمين جيدًا أن أيان لا يشبه والده، وأنه أخوكِ رغمًا عن أنفك، خطأه الوحيد أنه ابتعد في بداية الأمر حينما لم يستطع التأثير على والده أو إثنائه عن فعلته.

لترد جلنار:

- وأنا لا أريده في حياتي من جديد. يكفي الأذى الذي طالنا من تلك العائلة.

أكملت نازلي:

- كاذبة، بل تريدينه ولكن تمنعين نفسك، وهو الاخر لا يقوى على الافتراق عنك، فأنت أقرب له من إخوته.

تحركت نازلي بكرسيها تقترب من جلنار

لتمسك يديها وتقول:

- الزمن غير مضمون ما دمت ما زالت لديك فرصة للاجتماع مع من تحبين افعلي، لا تتخلي عنهم، فالزمن سيفرقكم يومًا حتمًا، فلم تُعجلي بالفراق؟

نهضت جلنار تستند على عكازها وهي لا تريد التأثر بكلام والدتها:

- تصبحين على خير أمي.

قالت ذلك وهي تتجه لغرفتها تحت أنظار والدتها اليائسة على تبدل حال وحيدتها.

ما زالت الأيام طويلة

ستعلمك وتلقنك وتؤلمك وتراضيك، ستنجو وتغرق حتى لا تستطيع النجاة مجددًا، ستعلم أن أمان الحياة عميق بقدر لن تستطيع الوصول إليه.

***

بعض الحبكات مضطربة، بعض المشاهد لا يُفضل ذكرها.

وهو مشهده ممنوع من العرض، مشهد سحقت فيه رجولته، أن تُطرد من الجنة وارد، أن يركلك أحدهم ليحتل مكانك، لكنهم لم يكتفوا بذلك بل أهدوه تذكرة ذهاب للجحيم، إخفاقهم الوحيد أنهم لم يفكروا في عودته.

ظنوا أن انتقامهم منه سيكتمل برؤيته يعيش مبتور الروح، وتناسوا أنه لو عاد ستنقلب حياتهم رأسًا على عقب.

والآن هو عائد يملك بطاقة نجاة كزائر إلى كوكب الأرض بعدما لامس الكوكب الناري.

فمن يُضاهي سطوته؟!

استيقظ سهيل من نومه مفزوعًا ليطيح بكوب ماء موضوع على الكومود جواره.

أخذ يهدئ نفسه

مكررًا أن لا أحد يستطيع أذيته. الآن هو يملك ما يؤذيهم إن فكروا الاقتراب منه، والعهد بينهم قائم ألا يقربونه بعد ما حدث.

استيقظت كاميليا لتجد جلنار مستيقظة تجلس على السرير تدون بمذكراتها الخاصة شيئًا ما.

أصدرت كاميليا حركة لتنتبه لها جلنار التي أغلقت مذكراتها سريعًا.

قالت كاميليا بتثاؤب:

- صباح الخير، أتمنى ألا أكون أزعجتك.

قالت جلنار:

- صباح النور عن أي إزعاج تتحدثين؟ سعيدة بوجودك معنا، وأتمنى أن تكوني على راحتك.

ابتسمت لها كاميليا مُجاملة

لتكمل جلنار:

- هل تعلمين؟ نحن هنا في العمارة صرنا خمس فتيات في عمر متقارب فهنا معنا في شقة في الدور الثاني سديم وسدرة توأمان متقاربتان من عمرك، وفي الشقة المقابلة لهما بيسان في نفس عمرك أيضًا.

شعرت كاميليا بالسعادة لتقول:

- حقًا؟! رائع.

أومأت جلنار برأسها لتقول:

- نعم سديم وسدرة من قرية بعيدة عن هنا، وأتيتا هنا لمقر عمل سديم ودراسة سدرة، أما عن بيسان فهي فلسطينية وستسكن هي والدتها هنا حتى عودة أخيها.

تحمست كاميليا لمقابلتهن قائلة:

- أرغب في أن نجتمع سويًا وتُعرفينني عليهن، فأنا وحيدة والدي مثلك ليس لدي إخوة.

اتسعت ابتسامة جلنار مُستشعرة حماس كاميليا لتقول:

- لنفعل ذلك مساء اليوم، ونجتمع هنا. سأدعوهن على العشاء.

***

في المشفى..

كانت بيسان ترتب أغراض والدتها استعدادًا للخروج، رتبت أوعيتها في الحقيبة وقامت بالتأكد من ألا يوجد شيء ناقص، استدارت تنظر لوالدتها الشاردة بحب وشفقة..

قالت:

- أمي فيما تشردين؟ ألستِ سعيدة لخروجك من المشفى؟!

قالت والدتها وهي تتنهد في أسي:

- أشعر بالغربة.. في وطني وفي بيتي الذي هُدم فوق رأسي كنت أشعر بالأمان. هاجرت فقط من أجل أخيك ولأجلك. بيسان، إن حدث شيء لي فاعتني بأخيكِ. ليس لكما إلا بعض، وأوصيه أن يدفنني في فلسطين، يكفي خرجت منها في حياتي أريد لترابها أن يحتضن جسدي.

رمت بيسان ما في يدها بتأثر وهي تستعجب أي حال وصلت لها أمها، فإن كانت هي التي قضت أربع وعشرين سنة من عمرها في ذلك البيت شعرت بأن روحها زهقت بعدما خرجت من بلدها، ماذا عن والدتها التي قضت فوق الخمسين من عمرها في ذلك البلد، وأستشهد زوجها وابنها الأكبر وأغلب أفراد عائلتها فداء لأرضه؟! لترحل هي في نهاية

المطاف بعدما لم يتركوا فرصة لها أخرى للنجاة سوى الهروب بأعجوبة والتخلي عن كل أملاكها وراء ظهرها لحماية ابنتها وابنها المتبقيين لها في الدنيا.

اقتربت تضم والدتها لتقول:

- أمي لا تُحملي نفسك فوق طاقتها من أجل صحتك. أطال الله في عمرك وأدامك تاجًا على رأسي أنا وصلاح. فمن لنا سواك؟ نحن لا نقوى على فراق آخر، فقد أهلك الفراق قلوبنا، مزقها ولن يجمعها سوى اجتماع ثلاثتنا معًا. سنحيك جروح الألم وسنحاول البدء من جديد. فلسطين نحملها في داخلنا وفي أرواحنا وحتمًا سنعود.

وضعت يدها تربت على خد والدتها لتقول بحنان:

- لكن أرجو الله أن نعود معًا يومًا وأنت بصحة وخير، أرجوك ابقِي بخير واعتني بصحتك حتى تستطيعي النهوض وإعداد الذبائح والإشراف عليها عند عودتنا.

ابتسمت والدتها لتفاؤل ابنتها وصبرها وقوة تحملها لتقول:

- أنا فخورة بتربيتي لكِ بيسان، راضية عنك حبيبتي.

***

في الجريدة التي تعمل بها سديم..

دخلت سديم الجريدة على عَجالة من أمرها لتأخرها خمس عشرة دقيقة.

اصطدمت في طريقها بسهيل الذي كان خارجًا أثناء دخولها، لتعتذر بعجلة ولم تدقق من هو..

نظر لها سهيل بقوة ليقول:

- انتظري، يمكنك الرحيل اليوم.

ردت سديم باستغراب:

- سيد سهيل مرحبًا بك، هل حدث شيء؟

- متأخرة ربع ساعة كاملة، هل تحسبين نفسك خارجة للتنزه مع زميلاتك، يمكنك التأخر والمجيء بعدما تجهزين؟!

إن كنت تتأخرين وما زلت تحت الملاحظة وفي فترة التدريب، فماذا ستفعلين بعد ذلك؟!

قالت سديم:

- أعتذر بشدة ولكن...

- لا أريد سماع أي مبررات. سأمنحك فرصة أخرى لأنك حديثة تخرج ولا تملكين خبرة فقط. غدًا تحضرين هنا قبل الميعاد بربع ساعة، بل تفتحين المكتب، وإن تأخرت لا أريد رؤيتك مجددًا.

شعرت حينها بأن كرامتها جُرحت وهي لا تسمح بذلك، لكنها لديها شغف غير مبرر للعمل بتلك الجريدة عن غيرها، رغم أنها جريدة ناشئة. ربما لعملهم الاحترافي والمواضيع التي يختارون مناقشتها ومصداقيتهم.

قالت وهي تنظر نحوه كتلميذة مذنبة لكن غاضبة من أستاذها:

- أعتذر سيدي حقًا عن تأخري. سأكون هنا من السادسة صباحًا غدًا.

أكملت بابتسامة صفراء:

- وانا حديثة تخرج نعم لكن لدي خبرة جيدة. فقد كنت الأولى على جامعتي طوال الأربع سنوات. ولكني لم أرغب في العمل كمعيدة بالجامعة لعدم حبي في العمل الأكاديمي فقط.

عن إذنك الآن.

ورحلت دون أن تسمع رده تاركة إياه يحدق في

أثرها.

كانت جلنار تجلس في الصالون لتجد الباب يدق.

استندت على عكازها تفتح الباب، لتجد أيان يقف أمامها يحمل الكثير والكثير من الأغراض.

قال أيان بمرح:

- مرحبًا أيتها القصيرة، هل يمكنني الدخول لرؤية زوجة عمي نازلي؟

لم يترك لها فرصة الرد ليقول وهو يندفع للدخول متخطيًا إياها:

- أفسحي الطريق لي حتى أتمكن من الدخول.

سيدة نااازلي.

قالت جلنار وهي تمد يده تضعها على كتفه حتى يستدير لها:

- توقف عن إحداث ضجيج، فأمي نائمة ولدينا ضيفة. ماذا تريد؟

قال أيان الذي بدا على ملامحه الإرهاق والتعب:

- هل يمكنني الجلوس لأتحدث معكِ ولو عشر دقائق فقط؟ أرجوك جلنار بحق كل شيء بيننا.

قالت جلنار وهي تشعر بتعبه وإرهاقه:

- حسنًا تفضل

جلس كل منهما ليبدأ أيان الحديث:

- هل عرضتما حقًا الشقق للإيجار؟

لترد:

- بل انتهينا من تأجيرهم وسنقوم بإزالة الإعلان.

- لماذا جلنار؟ لقد عرضت عليك المال أكثر من مرة وعلى زوجة عمي أيضًا.

ردت الأخرى بسخط:

- لا أريد شيئًا من أموال والدك.

- بل أموالكما وأملاككما أنتما، أما عن أبي وأعمامي هم الدخلاء، وأعدك أن أرد لك ما أخذه والدي يومًا ما كاملًا. لكن لا تحزني جلنار.

قالت جلنار:

- لم تعد أملاكنا أو أموالنا.

لتكمل بسخرية:

- البركة في والدك وضع الخطة وقام البقية بتنفيذها. والان نحن لا نملك سوى تلك البناية واضطررنا لتأجيرها حتى لا نحتاج لكم مرة أخرى. فمن فضلك لا تهدر وقتك معي وأنت تعلم أن لن يتغير رأيي في شيء.

تنهد أيان وقد شعر بالصداع يداهمه ليقول وهو يمسك برأسه:

- حسنًا جلنار لنترك ذلك الأمر الآن. ماذا عن دراستك؟ ستبدأ المدرسة في الشهر المقبل وأنتِ ستلتحقين بالصف الثانوي الثالث، ويجب عليكِ الاستعداد جيدًا للالتحاق بالكلية التي تريدين. كما أنك في حاجة لإعادة تأهيل للمشاركة في بطولة البالية التي ستقام العام القادم يكفي تأخرك عن التقديم هذا العام.

قالت جلنار بانفعال وفظاظة:

- هل يمكنك أن تتوقف عن تمثيل دور الحنون؟ فحينما تضعنا الحياة في اختبار آخر بالتأكيد ستظهر جينات والدك.

ليرد عليها أيان بصبر:

- أُقدر غضبك وسأتحمل كما تشائين. لكن أريد الاطمئنان عليك جلنار من فضلك، لا تُقصيني عن حياتك، تقبلي وجودي بها ولو كضيف شرف.

ردت جلنار:

- آسفة أيان ربما ليس ذنبك، ولكني أريد قطع أي صلة تربطني بتلك العائلة، أما عن شعورك بالذنب نحوي أنا وأمى فلا تقلق بشأننا، نستطيع تدبر أمرنا جيدًا، أنرت.

نظر لها أيان في يأس قائلًا قبل أن يرحل:

- أنت لا تشبهينهم في قسوة قلبهم وإن تظاهرت بذلك، سأترك لك الوقت لتهدئي، لكن لن ابتعد عنك جلنار، أنت أختي الصغيرة العزيزة، وستظلين كذلك طوال العمر شئت أو أبيت لن أتخلى عنك.

كانت كاميليا تجلس في غرفة جلنار تفكر في أنه قد حان الوقت لتلجأ لطبيب نفسي بخصوص أمر السرقة.

لم يخطر في خيالها يومًا أن يحدث كل ما حدث لها، والآن رغم يقينها أنها لن تعاود السرقة بعد كل ما حدث، لكنها تريد التأكد من تعافيها تمامًا حتى لا تعاود وتنتكس من جديد تحت أي ظروف.

أمسكت كاميليا هاتفها بتردد لتدخل إحدى مجموعات البنات المشهورة على صفحة من صفحات التواصل الاجتماعي.

ترددت كاميليا أن تعرض مشكلتها كاملة حتى لا يتعرف عليها أحد، وإن كانت ستكتب باسم مجهول

لتقص نصف المشكلة والتي تريد حلًا لها الآن، وعرضتها كمشكلة لصديقة مقربة لها، انتظرت حتى يقبل مسئول المجموعة. عرضت مشكلتها والتي كانت تسأل فيها: هل يجب عليها الذهاب لطبيب نفسي أم لا؟ لأن ربما ظروفها الآن لا تسمح لها باللجوء لمختص أو الذهب لعيادة طبيب.

مرت نصف ساعة تقريبًا لتقبل بعدها مسئولة المجموعة مشكلة كاميليا وتعرضها باسم مجهول.

كانت كاميليا تشعر بتوتر بالغ وهي على أعتاب مواجهة نفسها، هي الآن تحمل مسئولية نفسها رغم اتكالاها على والديها في كل شيء سابقًا.

لم تكد المشكلة تُعرض حتى انهالت التعليقات بين إيجابي وسلبي، فالبعض قام بدور الملاك كعادة ما يحدث بتلك المجموعات مدعيًا الفضيلة، وترك المشكلة الأساسية، وتناسى أدب النصيحة.. لكن الأغلبية العظمى كانت ترشدها للذهاب لطبيب نفسي، والبعض الآخر نصحها بمحاولة الحصول على استشارة نفسية من خلال الإنترنت إن لم تسنح لها الظروف بالتوجه لطبيب نفسي.

لتستمال هي نحو الحل الأخير.

قررت أن تذهب للتسوق اليوم وشراء لوازم وأساسيات فرش الشقة حتى تستطيع البدء في العلاج عن بعد كما نصحها البعض.

استأذنت كاميليا من السيدة نازلي أن تذهب لشراء بعض الأثاث والأغراض لتشرع في فرش الشقة من الغد.

خشيت عليها السيدة نازلي أن تضل الطريق خاصة أنها لا تعرف شيئًا في القاهرة، لتخبرها ألا تقلق وتعدها أنها لن تخرج من المعادي.

بحثت كاميليا عن أحد معارض الأثاث المشهورة في المعادي لتستطيع الاستدلال على واحد في شارع قريب من العمارة التي تسكن.

داخل محل الأثاث..

كانت كاميليا تتنقل بين الطابقين الأول والثاني تختار الأغراض بعناية شديدة لم تفعلها وقتما كانت تجهز شقة الزواج الخاصة بها، حيث كانت وقتها تترك لأمها أمر اختيار كل شيء وتُفضل الاعتناء

بنفسها فقط.

حجزت بعض الأثاث وطلبت من صاحب المعرض أن ينقله في اليوم التالي وأعطته عنوان المنزل، وطلبت منه أن تدفع المبلغ كاملًا كاش.

التقطت عيناها وهي عند الكاشير كرسيًا يقومون بإدخاله المحل يبدو مختلفًا.

كان كرسيًا هزازًا يجمع بين اللون الأصفر والبرتقالي الصارخ، وكان مُبطنًا بمسند مزركش به رسومات كثيرة. وأما عن ظهره فكان به نقوش خشبية فريدة.

جذبها الكرسي الهزاز لتتحرك نحوه بانبهار غافلة عن زوج من الأعين يراقبها بانبهار منذ ما دخلت المكان ويتتبعها.

اقتربت كاميليا من الكرسي كالمجذوبة لتقوم بلمسه بانبهار

لتسمع صوتًا من الخلف يقول:

- هل أعجبكِ؟

لترد بانبهار

- أعجبني لأقصى حد. يبدو كقطعة فريدة صُممت خصيصًا لأحدهم.

ليأتي ذلك الرجل يقف أمامها قائلًا:

- لمَ لا تُجربي الجلوس عليه؟

نظرت له كاميليا بتعجب، ظنته عاملًا بالمكان لتلقي نظرة على ملابسه التي بدت مختلفة عن الزي الرسمي للعاملين بالمكان، وحذائه الرياضي باهظ الثمن، حيث كان إحدى الماركات الشهيرة التي تبتاع منها لنفسها.

ليقول مره أخرى وهو يسحب الكرسي لها

هلا تفضلت بالجلوس لتجربة إن كان مريحًا أم لا؟

جلست كاميليا بتردد، لتنطق بعدها:

- نعم مريح أريد شراءه.

- ماذا عن إن التقطت لك صورة معه؟

لترد كاميليا وهي تشعر بأنه يستخف بها:

- عفوًا هل تمازحني؟

ليرد مسرعًا؛

- بل أغازلك

قالت كاميليا وقد عادت لشراستها التي غهدت بها أيام الجامعة مع المتحرشين أمثاله:

- يا لك من وغد وقح! سأخبر عنك المسئول هنا ليقوم بفصلك أو طلب الشرطة لك.

ضحك بشدة عليها لتنادي أحد العاملين بالمكان قائلة بصوت أشبه للصراخ:

- هذا الوغد اللزج يقوم بمضايقتي.

ليقوم هو بعقد يديه خلف ظهره وينظر نحوها بتسلية.

قال العامل بحرج وهو يرد سريعًا:

- هذا الباشمهندس يامن ابن صاحب المعرض.

ردت كاميليا وقد ازداد استياؤها:

- ماذا؟ وهل هم فاتحون المعرض لمضايقة الزبائن؟! والله لولا عجلتي ودفعي لنقود الأثاث لكنت رفضت الشراء من ذلك المحل. سأرحل الآن، وأرجو أن ترسلوا الأغراض في أسرع وقت.

همت بالرحيل لتقول بصوت مرتفع مره أخيرة:

- وغد وضيع!!

وقف يامن يضحك بشدة تحت أنظار العامل المتعجبة مما يفعله، فذلك لا يشبه سلوكه، وإن علم والده بما حدث مؤكد لن يمرره مرور الكرام.

لاحظ يامن نظرات العامل نحوه ليقول بجدية مفرطة لا تشبه الهذي الذي حدث منذ قليل:

- اذهب لعملك هل تريد التقاط صورة لي، أو ما شابه؟ وإياك إخبار أحدٍ بما حدث.

***

رحلت كاميليا متأففة مما حدث

هي لم تكن أجمل فتاة يمكن أن ينبهر أحد بجمالها، ولكن لها جاذبية خاصة تجيد إظهارها وهي تعلم ذلك.

كانت تملك خصلات فحمية طويلة تصل لمنتصف ظهرها، وأعين واسعة بلون البندق كانت تتعمد تكحيلها دومًا بكحل بُني يحددها. أما عن ملامح وجهها فكانت مرسومة متناسقة، وبشرتها الحنطية كانت تحافظ دومًا على نضارتها.

اعتادت كاميليا أن تلحق بها المضايقات والمغازلات منذ كانت في الجامعة، ولكنها كانت تجيد وضع حدود تلزم من أمامها حده، ومن كان يتطاول عليها أو يطيل معها في الكلام كانت لا تسكت له، بل توبخه حتى تلقنه الدرس جيدًا، وإن استدعى الأمر تطلب له الشرطة كما فعلت مرة سابقًا.

عاودت كاميليا البيت لترى سيدة عجوز تسندها فتاة محجبة لتنزل من سيارة الأجرة أمام البناية.

كانت الفتاة تواجه صعوبة في مساندة السيدة التي يبدو على جسدها الوهن.

تقدمت كاميليا نحوها تساعدها لتشكرها الفتاة في امتنان هي والسيدة التي بدا عليها أنها والدتها.

سألتها كاميليا في هدوء في أي بناية تسكن لتقوم بتوصيلها، لتشير بيسان لها نحو عمارة جلنار.

ابتسمت كاميليا بفرحة لتقول:

- يا للمصادفة! أنا أيضًا أسكن هنا.

قالت بيسان:

- حقًا؟!

لتخبرها كاميليا:

- نعم أنا الساكنة الجديدة. انتقلت لهنا امبارح فقط. إذًا أنت بيسان.

قالتها وهي تستشف لهجتها الفلسطينية، لتقول بيسان بدهشة

- هل أجريتِ تحريات عنا قبل وصولك، أم ماذا؟

ضحكت بخفة لترد:

- أخبرتني جلنار أمس بأسمائكن، ومن لهجتك الجميلة تلك علمت أنك بيسان. أتلك والدتك؟

أومأت بيسان برأسها، لتكمل كاميليا بتهذيب ولهجة رسمية:

- مرحبًا سيدتي، أتمنى أن تكوني بخير.

نظرت نحوها السيدة الخمسينية ببشاشة لتقول:

- بخير حبيبتي، شكرًا لمساعدتك وأتمنى أن تصيري أنت وبيسان صديقتين.

قالت كاميليا:

- بالطبع بكل سرور، هيا لندخل حتى تستطيعي الراحة.

***

اعتاد أن يُضحي من أجل غيره، كان الولد المطيع الذي يفخر به والداه، "وحيد والديه"، كذلك يقولون، رغم امتلاكه أُختين أكبر منه.

اعتاد الطاعة رغبة منه في إرضاء من حوله، نعم وحاضر فقط كي لا تحزن والدته أو يُرثي والده

حاله.

وعده والده بتكوين ثروة كبيرة له، واحتال من أجله على إرث أخيه في أول فرصة سنحت له بهذا، وهذا ما يحزنه.

كانت المرة الأولى التي يقف فيها أمام والده يصرخ بغضب يقول إن ذلك ليس عدلًا، وإن شرع الله ليس هكذا. بل هم من يحتالون على الشرع آخذين منه ما يريدون فقط لتحقيق رغباتهم.

وكانت الإجابة حينها صفعة من أبيه وولولة من أمه التي تصر أن نازلي وابنتها صنعتا له عملًا أن يحبهما ويتعلق بهما هكذا.

جلس أيان في غرفته يشعر بالحزن والإرهاق غير المبرر.

كان يساوره شعور القلق والعجز تجاه جلنار أخته التي لم تلدها أمه، وجمعهما لقب عائلة تفرقت بفضل خطة أبيه.

كان أيان طالبًا بالفرقة الثانية بكلية الصيدلة، وكان يرتاد جامعة خاصة ألحقه بها والده رغبة في تحقيق حلم يخصه هو، فلم يستطع التأقلم بها ورسب بالعام الأول. ولكن أصر والده على أن يُكمل رغمًا عن أنفه، فكان وحيدًا بذلك المكان يشعر بعدم الانتماء وعدم الرغبة في الحديث مع أحد، حتى أنه بعدما قضى ثلاث سنوات بذلك المكان ومر بدفعتين مختلفتين لم يستطع تكوين صداقة أو زمالة مع أحد قط.

فأيان كان يرغب في الالتحاق بكلية الزراعة، حيث كان يُحب النباتات ويهتم بها كثيرًا.

وكانت جلنار وحدها من تستوعب حزنه رغم حقد أختيه عليه، ونعته بالمدلل الفاسد، حيث أنهما

حينما كانتا في مثل المرحلة العمرية رفض والدهما إلحاقهما بتعليم جامعي خاص، كانت جلنار تحتويه وتتقبل هزيمته. وكما كانت والدتها تستقبله في منزلها لتستمع له وتجعله يخرج ما في داخله من مشاعر سلبية دون الحكم عليه أو توجيهه. فالسيدة نازلي ليست من النوع الذي يُصدر أحكامًا على الآخرين، كما إنها لا تُسدي النصائح لأحد إلا عندما يُطلب منها ذلك.

نهض أيان يمسك برأسه وهو يشعر بألم شديد لا يشبه الصداع العادي، ليصرخ بشدة قبل أن يسقط مرتطمًا بالأرض.

***

في شقة جلنار مساءً..

اجتمعت الفتيات معًا تلبية لدعوة العشاء الذي دعتهن جلنار لتناوله سويًا.

عرضت عليها سدرة وبيسان أن تعدَا هما الطعام حتى لا تُجهد نفسها أو تقف مدة طويلة، لترفض قائلة إنها لن تعد شيئًا بنفسها، فهي طلبت لهن سوشي وبيتزا.

اجتمعت الفتيات حول مائدة السفرة ورحبت بهن السيدة نازلي قبل أن تستأذن منهن وتدخل غرفتها تاركة إياهن على راحتهن.

قامت جلنار بتعريف كاميليا على سدرة وسديم أولًا، ثم جاء الدور لتعرفها على بيسان لتعلم أنهما تعرفتا صباحًا.

شرعت الفتيات في تناول الطعام في صمت كل منهن شاردة في حالها.

اقتطعت جلنار الصمت لتقول:

- لم صامتات؟! ما رأيكن في أن أشغل أغاني؟

قالت كاميليا:

- فكرة رائعة.

وأيدتها سديم وسدرة، ولم تعترض بيسان.

لتبتسم جلنار وهي تشعر أنها فرصة لا يجب أن تُضيعها:

- حسنًا سأشغل السماعات..

نهضت تستند على عصاها لتقوم بتوصيل هاتفها الذي لا يفارق يدها بسماعات متوسطة الحجم لتشغل أغنية على ذوقها الذي لا يستوعبه الجميع.

كانت أغنية لفرقة أوتوستراد الأردنية، تلك الفرقة الشبابية التي تستمع لها أغلب الوقت.

حبينا حكينا حلمنا بنينا تركنا شو بينفعنا
ولا اشي شكله افترقنا
وانت رحتي تركتي هجرتي لا سألتي ولا
حتى اتذكرتي انو سوا
وانتي نسيتي يلي كان وانسيتي عشرة زمان
ونسيتيني أنا كمان ونسيتي
وانتي نسيتي يلي كان ونسيتي عشرة زمان
ونسيتيني أنا كمان
ونسيتي..
مرة لمحته ولمحني لا سألني ولا تذكرني
ولا كأنه كان في مكان
قلبي زمان..
دنيا تركني تركته لا تذكرني ولا تذكرته
حب حبيب حب حب كمان
مش مش كلام...

اندمجت مع كلمات الأغنية لتبدأ في رفع يدها

محاولة الرقص عشوائيًا وترديد الكلمات بصوت مرتفع.

نظرت نحوها سديم وسدرة باستغراب لتشرعا في الضحك بهستيرية وهما لا تفهمان كلمات الأغنية.

لتضحك بيسان على ضحكاتهما وفرحة منها لخروج جلنار من حالة الحزن ولو دقائق.

أما عن كاميليا فنهضت تشاركها الرقص كخبيرة تتمايل مع الإيقاع بخفة ورشاقة وتخطو خطوات مدروسة رغم عدم معرفتها سابقًا بالأغنية.

صفقت لهما سديم وهي تُصفر بعدما انتهيتا لتقول:

- كاميليا، هل كنت راقصة سابقة؟ اعترفي.

ضحكت كاميليا لتقول:

- أنا أحب الرقص بكل أنواعه صدقًا، كما أنني أجيد اختيار رقصات تتماشى مع الموسيقى التي أسمعها.

قالت جلنار وقد شعرت بظهرها يؤلمها من التعب نتيجة وقوفها ومحاولة الرقص عشوائيًا:

- شكرًا لكن على عدم المقاطعة، لقد كنت في حاجة لذلك.

عاودن الجلوس مرة أخرى، لتقول سديم كمن تذكر شيئًا:

- فتيات، هل منكن من تستطيع إعطائي نصيحة عاطفية؟

قالت سدرة بتعجب:

- نصيحة ماذا يا قلب والديك؟!

لتقول سديم:

- اصمتي أنت الان.

ضحكت بيسان بخجل وقد تذكرت حب حياتها

الأول نبيل، وتلك المشاعر اللذيذة التي كانت تتسلل لها خفية حين تقابله لتدغدغ مشاعرها على مهل.

أما عن جلنار قالت:

- أنا لم أدخل في علاقات عاطفية من قبل، لكن صديقتي المقربة فعلت. أخبريني ما تريدين معرفته وسأسألها لك.

نظرت سديم لكاميليا لتقول:

- وأنت كاميليا؟ ليس لديك تجارب سابقة؟

ردت كاميليا وهي تسخر من حالها:

- لديَ حبيبتي، وانتهت بالطلاق قبل فرحي بأيام. إذًا ليس من الجيد أن تستمعي لفاشلة مثلي.

شعرت سديم بالحرج لتقول محاولة تخفيف حدة الموقف:

- هو الخاسر، فأين سيجد فتاة رائعة مثلك؟ ألا يرى؟! نذل أعمى..

ضحكت كاميليا لمجاملتها لتقول:

- لا تخافي، لم أحزن سوى لحزن والدي، فقد كان زواجًا مدبرًا فهو ابن عمي وتقدم لخطبتي من والدي فوافقت لكونه مناسبًا فقط، لم تكن قصة حب.

قالت سديم:

- سيعوضك الله بخير منه وتكون زيجة العمر إن شاء الله.

كانت سدرة كمن تذكر أمرًا ما لتقول:

- وهل الزواج المدبر سيئ؟ أليس أفضل من اللاشيء؟!

نظرت أربعتهن نحوها

لتشعر بتوتر مردفة:

- أقصد أنه يكون ناجحا أحيانًا.

قالت سديم وهي تنظر نحوها بشك:

- ماذا دهاك سدرة؟ هل أنت من تتحدثين هكذا؟ ماذا عن كل قصص الحب والرومانسية حتى ظننتك أفروديت؟

- الحب ليس للجميع أعتقد. فربما للجميلات أو الفتيات الذكية أو المحظوظات فقط، كما أخبرتني أمي.

فهمت سديم ما حدث وأنه من الظاهر تحدثت أمها مع سدرة بشأن عريس متقدم لها أو ما شابه لنقول:

- بل الحب للجميع، جميعنا نستحق الحب. جميعنا جميلات بشكل أو بآخر. لا تكترثي لمعايير الجمال التي فرضها المجتمع على النساء في نوع من أشكال العنصرية التي تجبرهن على اتباع حميات غذائية ووضع مساحيق تجميل أو القيام بعمليات تجميل، هوسًا منهن للوصول إلى المثالية. جمالنا يكمن في أرواحنا وفي قلوبنا لينعكس بعدها على وجهنا، في طريقة كلامنا وحبنا للخير والأهم من ذلك في تقبلنا لأنفسنا، فذلك معيار الجمال الأول، عندما يرى الإنسان نفسه جميلًا بشكل ما تنعكس رؤيته في أعين من أمامه.

زفرت سدرة في يأس لتقول:

- ليت الجميع يفكر مثلك سديم أو يرى الناس بروحك الشفافة تلك.

اقترحت بيسان بعدها أن يلعبن لعبة، لتختار جلنار تلك المرة أن يلعبن لعبة الكوتشينة وخاصة الشايب ليحكمن على الخاسر بغسل الصحون.

وافقن ليقضين طوال الأمسية يلعبن ويضحكن على نكات سديم وخسارة كاميليا المتكررة.

بعد السهرة ودعن بعض لتدخل بيسان شقتها وسديم وسدرة شقتهما.

شعرت سدرة بالنعاس لتقول لسديم أنها ستنام.

- انتظري سدرة، أرغب في الحديث معك، لم لا أصنع كوبين من القهوة ونجلس معًا في الشرفة؟ لم نفعل ذلك وحدنا منذ فترة.

رأت سدرة في عينيها نظرة احتياج لهذا لتوافق في استسلام.

جلست سديم في الشرفة على حصير مفترش على الأرض تقابلها سدرة وأمامهما كوبان واحد قهوة شيكولاتة بالبندق لها وآخر قهوة تركي لسدرة.

بدأت سديم الحديث قائلة:

- ما بك سدرة؟ لا تبدين بخير منذ محادثة والدتنا الأخيرة، ولا تخبريني لا شيء وإلا سأتصل لأستعلم منها.

قالت سدرة وهي تبتسم بحزن:

- ما زلت تحميننى يا سديم وتحاولين الدفاع عن مشاعري حتى أمام والدتنا، لا شيء يستحق القلق أنتِ فقط تعلمين أسلوب والدتك.

قالت سديم:

- أعلم لذلك أسألك ما حدث تلك المرة؟ هل أحضرت لك عريسًا غير مناسب وتحاول إقناعك لتقابليه؟

- لا بل تريد موافقة مباشرة تلك المرة لأنه سيسافر ويريد عقد القران قبلها، أتعلمين أنه يكبرني باثنتي عشرة سنة، كما أنه سيسكن بالقرية ومصرَ علي ذلك؟ أه كما أنه يشترط أن أرتدي الحجاب وأمكث مع والديه وأخته في المنزل.

ردت سديم بهدوء وهي تقترب منها:

- ارفضي سدرة طبقا ماذا يجبرك على ذلك وإن حدثتك أمي في الموضوع ذلك وحاولت الضغط عليك مجددًا سنحدث أبانا.

قالت سدرة:

- ذلك ما قلته لأمي. رفضت وعندما حاولت إقناعي بمستواه المادي والشبكة التي عرضها أخبرتها إني سأخبر والدي أنها تضغط علي، ولكن ردها تلك المرة فاق كل الحدود لدرجة صدمتني.

استمعت لها سديم باهتمام لتقول:

- أخبرتني: "أنت لست سديم، هي ستستطيع الحصول على عريس مناسب كما تريد، ولكن أنت لا تملكين مؤهلاتها أو رشاقة جسدها وقوة شخصيتها، وستمكثين دون زواج أو ينتهي بك الأمر متزوجة من مطلق يملك أولادًا يفوقونك عمرًا"..

صُعقت سديم من حديث والدتها وقسوة قلبها وجفائها الذي تجاوز جميع الحدود لدرجة محاولة الإيقاع بينهما للتأثير على شخصية سدرة.

اغرورقت أعين سدرة بالدموع لتبكي وهي تشهق بارتفاع.

احتضنتها سديم تربت على رأسها في حنان لتقول بعدها:

- حقك علي أنا... لا عليكِ لا عليك، أنت رائعة وجميلة وتستحقين كل الحب والتقدير. انظري نحوي سدرة. الزواج مهم وسنة الحياة، لكنه ليس الأساس. نحن نتزوج بعد أن نؤسس حياة ونحدد طريقًا نسير فيه. وقتها نختار من يشاركنا السير في ذلك الطريق. لكن لا نبحث عن الزواج دون تأسيس حياة مسبقة، وأنت الان ما زلت في بداية طريقك تكملين دراستك، حتى إن لم تستطيعي الحصول

على شريك حياة مناسب لا بأس في ذلك. سيري في طريقك بمفردك واستمتعي بكل خطوة فيه، وأنا سأكون في ظهرك ما دام فيَ نفس لا تقلقي من شيء.

احتضنتها سدرة وهي تدعو الله أن لا يحرمها منها أبدًا، وألا يفرقهما أو يبعدهما عن بعض شيء.

مع كل شمس يوم جديد تظهر، يذهب معها جزء من أوجاعنا كأنما تهل معها فرصة جديدة لكل شخص، يخفف الوقت من أحزان وهموم الناس وإن لم يستطع مداوتها يترك لهم فرصة محاولة جديدة.

استيقظت سديم من بعد الشروق استعدادًا للتوجه للعمل، كما أيقظت سدرة حتى تذهب لحضور محاضراتها بالأكاديمية.

هبطت من البناية لتنظر في الساعة لتتأكد أنها غير متأخرة قبل أن تستقل سيارة أجرة متوجهة للعمل.

وصلت المكتب تظن نفسها أول الحضور لتتفاجأ بوجود أغلب العاملين معها بالجريدة، رغم أنه ما زال نصف ساعة أو أكثر.

شتمت في سرها بخفوت قبل أن تلقي عليهم التحية وتسأل عن المطلوب منها اليوم.

أتاها صوت سهيل يقول بقوة:

- عملك اليوم معي في المكتب، فأنا في هذه المرحلة أشرف على المتدربين بنفسي، اتبعيني.

***

في المكتب..

جلست سديم على مكتب صغير مجاور لمكتب سهيل.

طلب منها أن تقوم بكتابة بعض المقالات عن

الأدب بين العصرين الحديث والقديم، وتعرضها عليه. إن توافقت مع معايير النشر سينشر لها أول مقال باسمها، كما سيتم تثبيتها كموظفة معهم في الجريدة.

لم يكن الأمر بتلك الصعوبة بالنسبة لها، لكن كانت منكبة على الأوراق تحاول إظهار كل مهاراتها، وتريد إنجازها سريعًا.

بعد مدة وجيزة

أنجزت سديم المطلوب لتقول:

- سيد سهيل، لقد انتهيت من الأوراق. هل يمكن أن تلقي نظرة؟

رد عليها بفتور دون أن يرفع نظره عن الهاتف الذي يمسكه:

- ضعيها على المكتب.

اندهشت من فتوره وهي التي ظنت سينبهر بها وهي انتهت من المطلوب في وقت قياسي، لتتقدم تضع الأوراق على المكتب وهي تنظر نحوه بغيظ.

رفع عينيه ليلتقط نظراتها الغاضبة

لتبتسم نحوه بابتسامة صفراء وهي تتحرك للعودة لمكتبها.

جلست تختلس النظر نحوه وهي تراه يبتسم وهو يقلب في الهاتف، لترفع نظرها بفضول محاولة التقاط من يحادث.

أخذت تتململ في جلستها وهي ترفع بصرها.

كان سهيل يلاحظ تركيزها عليه ليرفع بصره نحوها صابًا تركيزه عليها تلك المرة.

تراجعت في كرسيها بخجل لتقول محاولة تحسين مظهرها:

- تلك الكراسي الخشبية تؤلم الظهر بشدة، لم لا

تستبدلونها بأخرى مُبطنة؟

انفلتت من سهيل ابتسامة بسيطة ليدعي الجدية بعدها سريعًا وهو يمد يده يقرأ الأوراق التي أنهتها.

أرجع سهيل الأوراق ليقول لها بعد تفكير لثوانٍ:

- عمل جيد ولكن هناك بعض الأخطاء البسيطة تحتاج منك تعديلًا، لقد تم قبولك بالعمل.

هبت سديم واقفة لتقول بابتسامة ملء شفتيها:

- شكرًا لك حقًا، وأعدك أن أكون قدر المسئولية.

قال سهيل وهو يضطجع في مقعده: - اتركي لي بريدك الإلكتروني، سأرسل لكِ التعديلات المطلوبة ويمكنك الآن التفضل لمباشرة عملك مع باقي زملائك.

خرجت سديم تشعر بالسعادة والمسؤولية لرغبتها أن تثبت جدارتها.

جلست مع زملائها يخبرونها طبيعة العمل والخطوات القادمة المطلوبة منها.

بعد انتهاء فترة الدوام كانت سديم متعبة تشعر بالصداع. فكرت أن تذهب لاحتساء القهوة لتعرض على بسمة الذهاب معها.

***

في المقهى..

تحدثت بسمة في بداية الأمر عن أمور تخص العمل، وكانت سديم تستمع لها باهتمام وتدون بعض الملحوظات

لتقول بسمة بلهجة منخفضة:

- أود منك أن تقللي تعاملك مع السيد سهيل، وأن تتجنبيه قدر استطاعتك.

لترد عليها سديم بلهجة تشبه لهجتها وهي تقترب

منها بوجهها:

- لماذا؟ هل هو متحرش أم شيء من ذلك القبيل؟

هزت بسمة رأسها بالنفي لتقول:

- أسوأ من ذلك.

لترد بسمة:

- عائد من الجحيم.

رفعت سديم حاجبها في استغراب

لتكمل بسمة:

- صدقًا إن علم أني أتحدث معك في ذلك الأمر أو على علم به ربما يفصل رأسي عن جسدي.

قالت سديم:

- لا تقلقي فأنا لن أخبر أحدًا.

لتكمل بسمة:

- هل تعلمين أن السيد سهيل كان مسجونًا سابقًا؟

- ماذا؟! مسجون سابق؟!!

لترد بسمة:

- نعم قضى خمس سنوات في السجن، وبعد خروجه بعامين أثبتت براءته، وتم التكتم على خبر سجنه السابق رغم حدوث ضجة كبيرة وقت سجنه.

كل ما أريده منك سديم أن تتوخي الحذر وتبتعدي عنه. صدقًا لم أر منه سوءًا سوى فظاظته وسوء تعامله، وذلك بالطبع نتيجة ما مر به من ظروف، حيث يقولون إنه سجن ظلمًا بعدما تحدث في مقال عن فساد رجلي أعمال مشهورين، وأنهما من تسببا في تزييف قضية مخدرات له، ولكن بعد خروجه من السجن لا أحد يعلم ماذا فعل ليقوم أحدهم بالاعتراف أمام النيابة أنه المفتعل لذلك الحديث هو وشريكه، ويثبت براءة سهيل.

أمثال سهيل إن اقتربت منهم لن تنجي، إما تقعين في شباك شخصيتهم الغامضة أو يطولك أذاهم.. أنا أحدثك كأخت كبرى شعرت بالتيه أمامه مثلك في أول العمل لأقرر بعدها الابتعاد.

شردت سديم في حديثها

لتقول بنظرة لم تفهمها بسمة وهي تمسك فنجان القهوة الخاص بها:

- حسنًا لا تقلقي بسمة لن يعلم أحد بحديثنا.

في شقة بيسان..

جلست بيسان مع والدتها تحتسيان مشروب الزهورات الفلسطينية، حيث ذهبت بيسان العطارة لشراء مكوناته خصيصًا لإعداده لوالدتها وإشعارها بشيء من عاداتهما التي كانتا تقومان بها في فلسطين.

كانت والدة بيسان تُثني على السيدة نازلي وابنتها جلنار، حيث اتصلت السيدة نازلي ترحب بها فور علمها بوصولها، واعتذرت لها أنها لن تقدر على زيارتها بسبب ظروفها الصحية.

وصل بيسان إشعار حينها على الهاتف من صلاح لتبتسم بشدة وهي تقول:

- أمي، صلاح يُحدثنا ما رأيك أن نرسل له تسجيلًا صوتيًا؟ فهو يريد الاطمئنان على صحتك.

لتوافق والدتها محدثة إياه بحب وإشفاق وهي تقول:

- صلاح حبيبي وقرة عيني، كيف حالك؟ ولم لا تتصل بنا يا ولد؟ هل سأصمد طوال هذه الفترة حتى أراك؟ فأنا يأكلني الشوق للمس وجهك وتقبيل جبهتك حبيب أمك أنت. طمئني على حالك وحال مازن صديقك وجميع من معك.

أخذت بيسان الهاتف من والدتها لتقول:

- صلاح، لم لا تسجل لنا رسالة صوتية وترسل لنا صورتك حتى ترتاح أمي قليلًا؟

لتكمل مازحة:

- فهي على وشك أن تقول أن شبحك من يحدثنا ليس أنت.

وصلتها رسالة من صلاح

يطمئنهما فيها على حاله ويطلب منهما الاعتناء بحالهما وإنجاز أوراق الإقامة، كما وصى بيسان أن ترسل عنوانها إليه، وتجاهل طلبها في إرسال رسالة صوتية.

اقترحت بيسان على والدتها أن ترسلا صورة لهما لصلاح لترياه أنهما بخير، لتفرح والدتها مؤيدة إياها قائلة:

- بالتأكيد اشتاق لرؤيتنا. هيا إذًا.

كانت عدلت بيسان من خصلات شعرها الذهبية، لتقوم بقص غرة جديدة رغبت في أخذ رأي صلاح بها.

أرسلت بيسان عدة صورة له وهي تحتضن والدتها مرة وأخرى و والدتها تقبلها، ومقطعًا مصورًا لهما وهما تشيران له، وصورًا لها بمفردها.

ليصلها رده الصادم:

- "هل مجنونة أنتِ؟ كيف ترسلين صورًا بدون حجابك هكذا"؟؟!!

ردت عليه بيسان بتعجب:

- صلاح، ما بك هل هذه المرة الأولى؟ لم تشعرني أنك من الأغراب مثلا؟ ثم أنك لم تعلق على غرتي الجديدة. ألم تعجبك؟

ليصلها رده الجاف:

- إلى اللقاء الآن. ولا تعاودي فعل ذلك.

استشعرت بيسان ضيقه لتبرر ذلك بأنه يخشى أن يفقد هاتفه أو يرى صورتها أحد. لتعاود التفكير في تغيير أسلوبه وجفافه معهما، في حين أنه كان من الممكن أن يحذف الصور.

بقيت تحدق في الهاتف مدة لتتركه بعدها حتى لا تثير قلق وارتياب والدتها.

أغلقت كاميليا الحاسوب وهي تشعر بالراحة بعد أول جلسة نفسية لها، لم تستطع أن تنتظر وصول الأثاث فنزلت من شقة السيدة نازلي وجلنار معتذرة برغبتها في تنظيف المنزل قبل وصول الأمتعة التي طلبتها.

والحقيقة أنها كانت ترغب في التحدث مع المعالج النفسي.

تقبلت كاميليا نصائح المعالج النفسي لها بخصوص مرض السرقة. و قررت أن تأخذ الأدوية التي وصفها لها حتى تقلل من حدة القلق والتوتر التي تمر به، فلا تندفع لذلك الأمر مجددًا.

دق هاتف كاميليا، ردت لتجد أن المعرض أرسل الأثاث.

ارتدت عباءة على عجالة وهبطت بخُفٍّ منزلي، فهي لن تذهب بعيدًا أو يراها أحد كما اعتقدت.

وجدت كاميليا شاحنة كبيرة مُحملة بالأثاث الذي اختارته لتشير نحو السائق وتطلب منه أن يساعدها أحد في تحميل الأثاث للشقة بالدور الأول، ليقول لها أن لديه أوامر بذلك.

جحظت عيناها حينما وجدت بين الأثاث الكرسي الذي أعجبها والذي حدثت مشكلة بسببه مع ابن صاحب المعرض.

قالت بانفعال شديد:
- من طلب هذا الكرسي؟ أنا لم ولن أحاسب على ثمنه.
ليأتيها الرد من يامن:
- أنا من طلبت ذلك اعتذارًا عن سخافتي المرة السابقة. فما توجب عليَ فعل ذلك.
ردت كاميليا بغضب أشد:
- ما هذا الهذي؟ هل ثلاحقني الآن أيضًا؟ اغرب من هنا وإلا سأطلب لك الشرطة تلك المرة حقًا. وخذ معك ذلك الكرسي لا أريده.
قهقه يامن بشدة ليقول لها باستفزاز:
- يبدو أنك انتقلتِ قريبًا لهنا.
- ما شأنك يا هذا؟ ما شأنك حقًا؟
حديثًا أو قديمًا هل سيمنعني هذا من الدفاع عن نفسي؟
رد يامن وهو يشير نحو البناية المجاورة لبنايتهم مباشرة:
- أنا أسكن في تلك البناية آنستي من قبل مولدك، فتبدين في بداية العشرين.
لترد كاميليا وهي على وشك فقد صوابها:
- وهل سأراك مجددًا؟ تبًا لصدفة تجمعنا بشخص سخيف وقح مثلك.. وهذا الكرسي إن لم تتحرك به من أمامي الآن، سأحطمه فوق رأسك حتمًا، ويحدث ما يحدث.
رد عليها يامن وهو يحاول التماسك بهدوئه لأنه المخطئ من البداية:
- هل أنا الوقح الآن؟ كل ما في الأمر رغبتي في تصليح خطئي.

- بلى أنا الوقحة، واغرب عن وجهي حتى لا أفتعل لك مشكلة في الحي الذي تسكنه من قبل مولدي.

هز كتفه في يأس ليتحرك مشيرًا لها بيده بعدما أدار ظهره وهو يضع يدًا في جيبه..

- حتمًا مختل.

قالتها كاميليا وهي تصفع يدها بالأخرى مستديرة لمتابعة نقل الأثاث للمنزل.

وقف يامن يراقبها بعدما ابتعد قليلًا ليبتسم قائلًا في نفسه:

- حتما سنتقابل مجددًا.. كاميليا.

***

في المستشفى..

كان أيان مُستلقيًا على السرير ليفيق بعد الإغماء الذي تعرض له.

وجد أمه تبكي وأباه يبدو وجهه فاقدًا للحيوية.

قال أيان وهو يمسك رأسه:

- أين أنا؟ وماذا حدث؟

استمرت والدته في البكاء ونواح بكلمات لم يفهمها.

نظر لوالده ليسأله عما حدث، ليرد والده بضعف لم يره عليه من قبل:

- منذ متى وأنت تشعر بتعب أيها الغبي؟ ولم لم تخبرنا؟

قال أيان وهو يمسك رأسه شاعرًا بدوار خفيف:

- منذ قرابة شهرين، لكن ظننته بسبب الظروف والمشاكل التي حدثت، كنت مصابًا بالأرق والصداع.

ردت والدته بصراخ:

- بل يشك الطبيب في إصابتك بورم على المخ.

استغرق أيان بضعة ثوانٍ يحدق فيها في اللاشيء ليقول بعدها:

- هل هذا ذنب جلنار والسيدة نازلي والدي؟ هل بسبب ما فعلته معهما يُرد لك فيَ أنا؟

لم يستطع والده الإجابة عليه

لتنهار والدته طالبة منه أن يصمت.

- أنا لست حزينًا وإن كنت مصابًا حقًا، فأنا لا أشعر بالانتماء لأي شخص في هذه الحياة، ومن شعرت معهما بالانتماء بسببكم خسرتهما.

تعالى صراخ والدته وهي تضم أذنيها لا تريد سماعه.

لتدمع عينا والده قبل أن يخرج من الغرفة.

***

مساءً في منزل أيان، وبعدما سمح له الطبيب بالخروج، وطلب منه إجراء الفحوصات للتأكد إن كان مصابًا بورم أم لا..

كان أيان مشاعره مختلطة في ذلك الوقت.

يجلس صامتًا لا يعلم إن كان حزينًا لأنه سيرحل قبل أن يحقق شيئًا واحدًا يريده، أو يسعد لأن كل هذا العبث الحادث سينتهي..

بداخله كان شيء سعيد لحزن والديه، كأنما انتقم لجلنار من نفسه.

ظن أنها سترتاح إن علمت وستعلم أن الأيام دارت والنقود التي احتال والده عليها في وقت ضعفهم سينفقها الآن عليه، والله أعلم إن كان سيعيش أم لا..

رغم كل ذلك كان بداخله يريد أن يحدثها، يقابلها ولو لمرة أخيرة كإخوة لا كأعداء كما باتت تعامله.

رغم كل ما يحدث والفوضى في منزله

أمسك هاتفه يراسلها يطلب منها أن يقابلها تلك المرة لأمر ضروري.

***

حتمًا ستضعك الحياة ولو لمرة في اختبار تهزم فيه براءتك، أول موقف ستتضطر فيه للتخلي عن نقاء قلبك الذي حاولت الحفاظ عليه ودومًا كان يُميزك.

ستسب وتلعن كل الشعائر الفاضلة.

ستشمر عن ساعديك وتستعد للقتال وإن غابت ساحة المعركة.

سيتملكك الضعف. وآه من لحظة يهزمنا فيها الضعف لنرفض علقمه بأخس طرق القوة وهو التظاهر بها.

جلنار كانت جوهرة والديها الغالية، حافظا على سلامة قلبها منذ نعومة أظافرها لتدهس الأيام الأخيرة في حياتها كل ما غرزه والداها فيها، تخبرها والدتها أن نبتة الخير بها ستزهر من جديد في أول موقف حقيقي.

لكنها تخبرها أنها تغيرت، ترتدي قناعًا تظنه وجهها الحقيقي، وأمها وأيان يعلمان الحقيقة جيدًا، وحدها من تظن نفسها تغيرت ونسيت أن من نشأ كما شبت هي وإن ضل أميالًا سيعود ركضًا.

كانت جلنار تجلس تشاهد التلفاز مع والدتها متجاهلة رسائل أيان، لاحظت والدتها تظاهر ابنتها بالتركيز على المسلسل الذي لا تحبذ مشاهدته معها لتعلم أن الراسل هو أيان.

صمتت تلك المرة، ستفعل كما اتفقت مع أيان سيتركانها تأخذ وقتها في الغضب وتخرج ما في داخلها من سخط حتى تستطيع التخطي والعودة

من جديد.

دق هاتف جلنار بشكل متواصل رغم تجاهلها الرد، إلا أنها شعرت بالفضول لاتصاله المتواصل، رغم أنه لا يفعل ذلك منذ تجاهلها رسائله.

شيء داخلها كان يحثها أن ترد.

ردت جلنار بعدم مبالاة ادعتها قائلة:

- نعم؟

ليأتيها صوت أيان:

- جلنار، هل يمكن أن أقابلك غدًا ونذهب معًا لمشوار صغير؟ أعدك لن أعطلك. بل ربما لن أظهر أمامك مجددًا بعد تلك المرة.

قالت جلنار متعجبة من أسلوبه:

- كيف أخرج معك أيها الأحمق؟ ومع من أترك أمي؟

نظرت لها السيدة نازلي لتحثها على الموافقة، لتلكزها في ذراعها حينما لم تبدِ موافقتها.

- أرجوك جلنار، أنا حقًا أحتاج لرؤيتك بشدة.

أجابت جلنار بتملل:

- حسنًا غدًا الساعة الثالثة عصرًا يمكنك أن تمر عليّ لأخذي، لكن لن نبتعد فأنا ما زال ظهري يؤلمني.

وأغلقت الخط دون الاستماع لرده.

في اليوم التالي..

مرّ أيان على جلنار بالسيارة ليقلها، كانت هي تنتظره أمام البناية لتراه مقبلًا نحوها، ابتسم وجهه العابس بشدة بمجرد رؤيتها، ابتسمت له تلقائيًا لتتظاهر بعدها بالعبوس.

ضحك أيان بشدة على تصرفها.

تقدم نحوها يقول:

- مرحبًا جلنار، شكرًا لك حقًا على تلك الفرصة، وأعدك لن تندمي.

أسندها أيان للسيارة لتستقل المقعد الأمامي جواره.

بعد ركوبهما السيارة

أخرج أيان من التابلوه المقابل أمامه علبة مخملية رقيقة.

قالت جلنار وهي تعقد حاجبيها:

- ما هذا؟

قال أيان:

- قبل أن ترفضي افتحي العلبة.

فتحتها جلنار

لتدمع عيناها بفرح.

كانت قلادة ذهبية بها قلب متوسط الحجم، بداخله صورة لوالدها ووالدتها من حفل زفافهما.

ردت جلنار وهي تكفكف دموعها:

- لكن لن يمكنني قبولها، فالقلادة باهظة الثمن جدًا.

رد أيان وهو يشير بيده نافيًا:

- لن أقبل بذلك ستأخذينها.. بحق كل الأوقات والأيام التي قضيتها في منزلكم لا تكسري خاطري فذلك أقل شيء يمكنني تقديمه لك.

شكرته جلنار بخفوت لتقول بعدها وهي تتحاشى النظر نحوه:

- والآن أين ستأخذني؟ أنا لم أتناول الغداء.

نظر أيان نحوها بنظرة غريبة وهو يكاد يطير من الفرحة بهذا التقدم الملحوظ في معاملتها له

ليقول:

- ما رأيك أن آخذك لتناول السوشي؟ وبعدها معي تذكرتين لفيلم جديد بالسينما، وبعدها نتناول المثلجات و...

- مهلًا مهلًا..

ما كل هذا؟

ماذا عن أمي؟

رد عليها أيان:

- هيا لنبدأ يومنا وسأترك لكِ القرار. متى رغبتِ في العودة سأعيدك.

ذهبا ليتناولا السوشي وكانت جلنار تحاول التظاهر بالجمود، ولكن لم تستطع أمام حديث أيان والمواضيع الشيقة التي يتحدث معها فيها كعادته.

استرسلا في الحديث ليمر الكثير من الوقت حتى فات موعد الفيلم دون أن يلحظا.

نظرت جلنار في ساعتها لتجد أنها تأخرت على والدتها لتطلب من أيان أن يعيدها، لترى نظرة رجاء في عينيه أن يتناولا معًا المثلجات.

ذهبا لشراء المثلجات من مكان اعتاد والدها أن يأخذهما للتنزه فيه منذ صغرهما.

ليقول أيان بعد حديث طويل دار بينهما:

- جلنار هل ستحزنين إن مُت أو تفتقدينني، أم سترين أن الله أرسل لك حقك من والدي؟

قالت جلنار بصدمة:

- كيف تقول هذا أيها الأحمق؟

رد أيان وهو يبتسم لها بحزن:

- لقد كنت أتمنى أن أبقى لأراك تعاودين الرقص على مسرح الباليه مرة أخرى، وأقلك أول يوم

للكلية. لكن ربما لن أستطيع ذلك. لذا عديني أن تهتمي بدراستك، وتعاودي لتمارين الباليه في أول فرصة تسنح لك.

قالت جلنار بقلق:

- ماذا هناك أيان؟ أنت تقلقني، هل ترغب أيها الأحمق إثارة الجدل، أم ترغب في إخافتي عليك واستغلال مشاعري لأعاود الحديث معك؟

ابتسم أيان ليقول لها:

- عديني أولًا ألا تحزني وتكملي طريقك، وإن كانت الرحلة فردية.

ردت عليه جلنار والدموع في عينيها:

- ليست فردية بل تشاركتها مع أفضل أخ في الدنيا.

أشاح أيان بوجهه ليقول بصوت مختنق:

- الطبيب يشك في أني مريض بورم على المخ، وطلب مني إجراء الفحوصات اللازمة جلنار.

نظرت جلنار نحوه بأعين متسعة قبل أن تلكزه بالعكاز خاصتها وهي تبكي قائلة:

- لا لا تقول هذا أنت تمازحني، لا تكن أنانيًا وتتلاعب بأعصابي أكثر من ذلك.

أخذت تلكمه بقبضتها الصغيرة وهي تبكي، ليضمها وهو يقول: - اهدئي جلنار اهدئي. أقسم لك أني سأحاول العلاج فقط من أجلك رغم رغبتي في الرحيل. لكنني لم أطمئن عليك بعد.. أنت أختي وصغيرتي، لن أتخلى عنك ما دمت أحيا.

بكت جلنار وهي تقول:

- آسفة أيان لم يكن ذنبك أي شيء. أنا حقًا آسفة، فقط كن بخير لأجلي ولن أفلت يدك مهما حدث.

***

بعد مرور شهرين..

أثبتت الفحوصات مرض أيان بورم حميد على المخ، ولكن كان في حاجة لإجراء عملية جراحية دقيقة.

في يوم إجراء العملية أصرت جلنار أن تكون معه رغم عدم اكتمال شفائها.

جلست في المشفى تدعو الله وتبتهل أن يخرج أيان بخير، كانت تبكي عليه كما لم يفعل إخوته الذين كانوا جشعين مثل والدهم يفكرون في أن كل شيء سيكون لهم إن رحل أيان..

نظرت والدة أيان نحوها بضيق، فهي كانت تظنها ستشمت بما حل عليهم، ولكن رضخت لرغبة أيان، فهو رفض إجراء الجراحة دون وجود جلنار.

بعد عدة ساعات خرج الطبيب يطمئنهم على إزالة الورم بنجاح، وأنه الآن تحت الملاحظة.

وقفت جلنار تستمع له في اهتمام وإنصات وهي تستعلم عن كل تفصيلة خاصة بالفترة القادمة، لتحاول الابتعاد بعدها لتحاشي الحديث مع عمها.

- جلنار.

قالها عمها الذي فقد الكثير من وزنه، وكبر في العمر عشرين عامًا في شهرين.

كانت جلنار لا تريد الرد عليه، لكنه كرر نداءه.

استدارت تنظر نحوه ليقول لها:

- هل سامحتني؟

لم ترد عليه واخفضت بصرها

ليقول:

- سأعيد نصيبي في المحلات لك، ولكن لن أقدر على إخوتي، فأنت تعرفين عمومتك.

ردت عليه جلنار بعصبية مفرطة:

- حقًا هل هذا ما ترى أنني احتاجه؟

حاولت التمسك فلم يكن الموقف ينقصها لتقول:

- لا حاجة لذلك يا عمي لقد تدبرنا أمورنا أنا ووالدتي، كما أنك تعلم أن السيدة نازلي لن تقبل بذلك. عن إذنك سأعود مساءً للاطمئنان على أيان.

لتنسحب تاركة زوجته تسأله عن حديثه معها.

***

عند بيسان كان مر شهران وأتى اليوم المنتظر، يوم وصول صلاح.

كان حديثهم مقتضبًا طوال تلك المدة، فكان يكتفي بسؤالها عن حالها هي ووالدتها وإرسال النقود إليهما.

تجهزت بيسان يومها مبكرًا وكانت تريد الذهاب لتقله، لكنه رفض قائلًا أنه سيأتي على العنوان الذي أرسلته له.

وقفت بيسان تنتظر صلاح.

***

أمام البناية مساءً

رغم أن الأمطار كانت تهطل بشدة والسماء مغيمة لدرجة تُشعرك بالكآبة، كانت خائفة رغم ظنها أن أخيرًا سيجتمعون مجددًا.

وقفت جلنار في الشرفة تنتظر أن يهدأ الجو لتعاود الذهاب لأيان المشفى، حتى رأت سيارة أجرة صغيرة تقف أمام البناية، في تلك اللحظة تحديدًا لم تكن تعلم هوية من في السيارة وظنته أخا بيسان الذي اخبرتهن عن عودته اليوم.

هبط مازن من السيارة في تلك اللحظة، لينعقد حاجبا بيسان وهي تنطق بعصبية دون ترحيب أو

إعطائه فرصة للحديث:

- مازن!!!

ما الذي أتي بك لهنا؟ وأين صلاح؟ لقد كان من المفترض وصوله الآن.

نظر لها بإرهاق وهو يرى ارتجافة جسدها وخوفها الظاهر.

كانت دقات قلبها المرتفعة قادرًا على سماعها وقتها.

ابتلع غصة حلقه ليصمت فقد نسي أي شيء أو ترتيب يمكن أن يفتتح به حديثه الآن، في تلك اللحظة تمني لو مات هو ونجا صلاح.

صمتت بيسان هي الأخرى والتي كانت على وشك الانهيار.

نظرت له مطولًا لتراه ينحي وجهه مبتعدًا عنها قبل أن يخرج خطابًا من جيبه، ولكن تلك المرة أعطاه لها مع قلادة صلاح التي تضم صورته معها ومع والدته.

جذبت بيسان الأشياء من يده بعنف

لتقول بصوت مرتفع وهي تشعر بقلبها على وشك التوقف:

- ما هذا الخطاب؟ ولما تحمل حقيبة صلاح معك؟ هل أصابه أي أذى؟ ماذا يحدث؟

فرت دمعة من عينيه على الحال لتلمحها هي لتفهم أن اليوم سيكون فاصلًا بين حياة عاشتها بكل الصعاب وجحيم قادم لن تقدر على البقاء فيه.

اعتدل مازن في وقفته ليقول:

- لم يكن صلاح من يراسلك يا بيسان، بل أنا. كما أن الخطاب الذي أعطيته لك الان هو الخطاب الأخير من صلاح.

وضعت يدها على فمها تكتم شهقة انفلتت منها لتقول وهي محاولة تجنب حقيقة فقدها أخيها:
- هل ما زال صلاح لم يعبر رفح أم أعتقل؟
نظر حينها أرضًا ليقول بألم:
- بل استشهد صلاح ولكن قبل وفاته طلب مني مراسلتك كأنما هو من يراسلك حتى تنزلي مصر وتستكمل والدتكما علاجها. بيسان أريد منك التماسك. أقسم كنت أموت كل مرة أراسلك فيها وأعطيك أملًا خادعًا، ولكن تلك الوسيلة الوحيدة حتى تبقيا على قيد الحياء، فأنا على علم مسبق برفضك النزول مصر، وأيضًا تلك كانت الفرصة الأخيرة لعلاج والدتك، طلب صلاح مني ذلك وأصر على طلبه لرغبته في الاطمئنان على حياتكما
كانت هي في ذلك الوقت مغيبة تمامًا عما يقول.
آخر ما سمعته هو خبر استشهاد صلاح.
شعرت كأنما سددت لها طعنة في قلبها.
ضغطت على القلادة بعنف شديد أمسكت بها كأنما تمسك بصلاح تمنعه من الرحيل.
سمعت صوت ضحكاته وتذكرت لقطات من حياتهما السابقة معًا تذكرت والدها الذي فقدته صغيرة، ويوم أخبرها صلاح أنه أبوها منذ اليوم. كانت صغيرة لم تعلم معنى فقد. ولكنها فهمت يومها أن والدها لن يحملها ويأخذها معه لصلاة الجمعة بعد الآن.
كانت الدنيا تدور بها والأرض تتحرك من أسفل قدمها قبل أن تسقط مُغشيًا عليها.
صرخت جلنار باسمها.
كانت كاميليا عائدة في ذلك الوقت من الخارج.
رأت جسد بيسان الملقى على الأرض أمام البناية

وشخصًا غريبًا ظنته أخاها يقف أمامها.

نادت كاميليا اسمها بصوت مرتفع وهي تهرع نحوها.

حملها مازن مسرعًا وهو يلعن سائق الأجرة الذي تحرك، فربما لن يجدوا سيارة أجرة بسهولة لسوء الظروف الجوية.

في ذلك الوقت كان يامن يتبع كاميليا دون أن تلحظه.

تقدم منهم ليعرض عليهم أن يأخذهم لأقرب مشفى معرفًا نفسه على أنه جار لهم في البناية المجاورة، وصديق لكاميليا التي نظرت له بتأفف لكنها كانت في حاجة لمساعدته.

ليستقلوا معه السيارة متوجهين للمشفى.

كانت بيسان في دنيا أخرى حتى ظنت نفسها بالجنة.

في نومتها التقت بمن لم يسمح لها الواقع أن تلتقي بهم.

كان منزلهم قائم لم يهدم، وكان عامرًا بالخيرات.

كان والدها يجلس على الأريكة في الشرفة، وجواره والدتها التي كانت ملامحها لا يشوبها خط عجز أو آثار تعب.

وهناك بعيدًا عند شجرة الزيتون

وقف أخوها الكبير يتحدث مع نبيل الذي تقدم لخطبتها أخيرًا رسميًا.

أما عن صلاح

فكان يحتضن كفها يخبرها أنه لن يتركها تتزوج حتى لا ترحل من المنزل، فهي نوره إن غابت حل الظلام.

شعرت بالانزعاج وهي تسمع ضجيج طائرات

العدو

ليحتضنها صلاح.

بكت في حضنه رغبت في أن تهرع نحو أخيها الكبير ونبيل تنقذهم حيث كان أحد الجنود أتى من خلفهما ليصوب عليهما، لكن لم تقوَ على الحركة.

ألقت نظرة على والديها لتجد والدها غارقًا في دمه ووالدتها تحتضن جسده الميت باكية.

أما عن صلاح الذي كان يمسك بيدها

فجأة أفلت يدها واختفى.

استيقظت بيسان تصرخ بعنف.. تصرخ حتى أوشكت حنجرتها على أن تدمي..

حضر الطبيب إثر صراخها، ليقوم بحقنها في الوريد حقنة مهدئة ليخرج بعدها يخبر مازن وكاميليا التي كانت تقف منهارة حزينة على ما يجري حولها.

- إن بيسان تمر بانهيار عصبي حاد.

كانت كاميليا علمت من مازن أنه صديق صلاح ، وأن صلاح استشهد وأخبرها بالظروف التي دفعته لفعل ذلك.

أما عن مازن كان يرغب في الهروب وأخذ جنب للبكاء فيه، لكن لا يوجد وقت للانهيار.

هو سيؤدي مهمته كاملة ويصون أمانة صديقه، ولتحترق مشاعره بجمرات الجحيم.

***

في العمل عند سديم

كانت تُنهي بعض التقارير المطلوبة منها، ولم يتبق سواها بالمكتب هي وعليا السكرتيرة وسهيل.

في الفترة الماضية تحسنت علاقتها بسهيل لدرجة

كبيرة، حيث كان يثني على أعمالها ويرشدها مقدمًا لها نصائح عما تفعل وكيف تُحسن من نفسها، كانت تنجذب نحوه تلقائيًا كل يوم كمغناطيس يسحبها دون إرادة منها.

هي لا تُغرم بقصص الحب، وكانت تظن أنها ستتزوج زيجة تقليدية بشخص مناسب لها فكريًا فقط.

ولكن بعدما توطدت علاقتها قليلًا بسهيل لا تعلم لماذا تغيرت أفكارها.

أثناء شرودها خرج سهيل من مكتبه

نظر نحوها باستغراب ليسألها بصوت مرهق:

- لمَ لم ترحلي إلى الآن؟

قالت سديم بنبرة مرهقة:

- لم أنته بعد، وليس لدينا وقت فنحن في حاجة لنشر تلك التقارير غدًا.

رد عليها سهيل وهو ينظر لساعته:

- هيا احزمي أمتعتك وخذي التقارير معك المنزل، لكن أرسليها لي مساءً. سأوصلك في طريقي أنتِ وعليا.

رفضت سديم بتوتر قائلة:

- لا حاجة لهذا حقًا شكرًا.

قاطعها سهيل بحزم:

- سديم قد قلت سأوصلك فليس من الآمن أن تستقلي سيارة أجرة الآن. فالأحوال الجوية سيئة والشوارع أشبه بفارغة. هيا الحقي بي.

***

أوصل سهيل عليا أولًا، ليسأل بعدها سديم على عنوانها الذي لم يكن بعيدًا عن مقر الجريدة.

خيم الصمت على السيارة. وكانت سديم تختلس النظر لسهيل من وقت لآخر وهي تحسبه غافلًا عن نظراتها.

اقتطع الصمت سهيل مردفًا بصوت رخيم:

- هل أنت من سكان المعادي سديم؟

لتجيبه سديم وهي تتحاشى النظر مباشرة إليه:

- بل أنا من قرية ريفية ولكن جئت هنا للعمل كما أن توأمي تكمل دراساتها العليا بأكاديمية هنا.

أخرج سهيل لفافة تبغ يضعها في فمه كما يفعل دومًا.

سألته سديم بفضول:

- هل يمكنني سؤالك عن شيء؟

- بالطبع، تفضلي.

- لمَ تضع دومًا لفافة تبغ في فمك إن كنت غير مدخن؟

غامت عيناه بنظرة مظلمة، لتقول:

- إن كنت لا ترغب في الإجابة لا بأس في ذلك.

رد عليها:

- في وقت ما كنت شرهًا جدًا للسجائر. كنت أنفث قرابة علبة كاملة باليوم.

حتي أنني ظننت نفسي لن أقدر على الإقلاع عنها أبدًا.

لكن مررت بظروف كنت لا أستطيع الحصول فيها عليها، إذ كنت أحاول التحفظ على ما أملك أطول فترة ممكنة، ولاعتيادي لتنفيث الدخان كنت أحيانًا طويلة أكتفي بوضعها في فمي دون إشعالها للحفاظ عليها أطول فترة ممكنة.

فهمت سديم أنه يقصد سنوات سجنه

ليكمل:

- بعد تلك الظروف أقلعت عن التدخين ولكن لم استطع الإقلاع عن تلك العادة.

أومأت سديم بتفهم

لتقول بعد دقيقة:

- هنا البناية التي أسكن فيها.

رد عليها باستغراب:

- تبدو بناية خاصة.

لتضحك سديم قائلة:

- نعم فقد مر أصحابها بظروف اضطرتهم لعرض شققها للتأجير.

ابتسم لها في تفهم قائلًا:

- عمتِ مساءً، سأقف انتظرك حتى تدخلين.

لتبتسم له.

دخلت سديم البناية بعدها لتشير له بيدها وهي تشكره.

***

كانت جلنار وسدرة تنتظران مجيء سديم لتستقبلاها مسرعتين وتسحبها سدرة نحو شقتهما وهي تكتم فمها.

قالت سديم بتعجب وهي توزع نظراتها بين سدرة وجلنار الباكية:

- ماذا هناك؟

قالت سدرة:

- صلاح أخو بيسان الذي كان من المفترض أن يعود اليوم، استشهد منذ فترة طويلة.

قالت سديم بدهشة:

- ماذا؟ وكيف كان يراسلهما؟

لكزتها سدرة بعنف لتقول:

- اخفضي صوتك والدة بيسان قلقة ولا تزال لا تعلم ماذا حدث، كما أنها لا تعلم أن العائد مازن وليس صلاح.

رفعت سديم حاجبها في دهشة لتقول:

- لا أفهم شيئًا.

أردفت جلنار وهي تشهق من البكاء:

- أي أن من كان يحادثهم طوال تلك المدة كان صديق أخيها وليس أخاها، فقد استشهد منذ عدة أشهر قبل حتى وصولهما مصر. لكنه طلب من صديقه أن يفعل ذلك وهو يحتضر حتى يطمئن عليهما، فلم يستطيع أن يرفض طلبه خاصة إن كانتا علمتا بخبر استشهاده ما كانتا نزلتا مصر.

قالت سديم وهي تشعر بوخزات في قلبها من هول الموقف:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. وأين بيسان الآن؟

قالت سدرة:

- في المشفى تمر بانهيار عصبي حاد، وتم حجزها. لقد انتظرناك لنذهب سويًا. قد أملتني كاميليا عنوان المشفى.

قالت سديم بحزم:

- حسنًا سأطلب سيارة أجرة ولنتوجه نحو المشفى سريعًا.

***

مرّ يومان قضتهما بيسان مستغرقة في النوم تحت أثر المهدئات، حيث كانت تصرخ وتنهار حينما تفيق.

في تلك المدة رغب مازن في إزالة هم إخبار والدتها الحقيقة عنها فهو يعلم أنها لا تقوى على المواجهة.

هو يعلم أن جزءًا من هروبها يكمن في خوفها على والدتها واللحظة التي ستخبرها فيها الحقيقة.

استقبلته والدة بيسان وصلاح بحزن دفين، ولكن خوفها على بيسان كان أكبر في تلك اللحظة، فهي أدت دورها مع صلاح وأخيه حتى وصلا دار الأمان.

أما عن بيسان فما زالت تحتاجها وهي تريد الاطمئنان عليها قبل الرحيل، تريدها أن تكمل وتحيا.

لذا قررت التماسك والتجلد بإيمان وعزم على الوقوف جوار من بقي لها في تلك الدنيا..

***

بيسان.

أفاقت بيسان من غيبتها لتجد والدتها تجلس على الكرسي المقابل لها تقرأ قرآنًا في المصحف دون حتى أن ترتدي الأسود.

كانت والدتها راضية صلبة بدرجة لم تستوعبها.

بكت بيسان حينما رأت والدتها لتقول بوهن:

- أمي.

قالت والدتها وهي تقترب تقبل رأسها:

- علمت بيسان، ولا أقول إلا أن الله استرد أمانته بعدما أرسلها كهدية لنا في حياتنا كسند وظهر لسنين طويلة. فلا نقول إلا "إنا لله وإن إليه راجعون"..

لتقول بيسان كطفلة تريد الاختباء:

- أمي أنا أشعر بالبرد ضميني من فضلك.

لتضمها والدتها بصبر وهي تربت على ظهرها محاولة إخفاء قهرتها.

كان مازن يقف خلف الباب يشاهدهما، ليغلق الباب

خلفه واجدًا أنه ليس وقتًا مناسبًا لمساندتهما وأن من الأفضل تركهما سويًا.

كانت كل من جلنار وسديم وسدرة في المشفى طوال اليومين السابقين، حتى سديم اعتذرت عن الذهاب للجريدة وأخذت إجازة طارئة، لم يبرحن من أمام غرفتها أو يتركن والدتها وحيدة.

فقط كانت جلنار تذهب للاطمئنان على أيان من وقت للآخر وتعود مسرعة مجددًا.

حتي السيدة نازلي، كانت تهاتف والدة بيسان باستمرار، وتحدث جلنار طالبة منها ألا تتركهن، مطمئنة إياها أنها ستستطيع تدبر أمورها بمفردها.

أحيانًا تُظلم الرؤية أمامنا فنتشتت ولا نستطيع أن نهتدي نقول: إننا لن نستطيع أن نُكمل وأن الحياة لن تنير مجددًا، فلم نبقى بها؟ ولكن هذا لأن نظرتنا محدودة. لكن الله يعلم.

يعلم أننا سنستطيع الإكمال.

يعلم أننا سننهض مجددًا.

يعلم أن ما زال خير قادم بكثرة لنا نستحق أن نناله قبل الرحيل.

حينما لن نستطيع أن نكمل لن نكون هنا، حينها سنكون رحلنا بالفعل، لا يُكلف الله نفسًا فوق طاقتها. وإن ظنت أن ما يحدث فوق طاقتها فذلك لأنها لا تعلم قدر قوتها فقط. لكن الله يعلم.

مر أسبوع بين حزن وقهر ومحاولات لإخراج بيسان ووالدتها من تلك الحالة.

بعد عودتهن للمنزل كانت الفتيات مع بيسان أغلب الوقت وحين تغيب واحدة تحل محلها الأخرى. احتوينها وقدرن حزنها.

تركنها تعبر عن مشاعرها بالطريقة التي ستريحها،

ولم يشعرها أحد بأنها تثقل عليه حتى هدأت قليلًا.

خرجت كاميليا في الصباح الباكر لتناول القهوة.

كانت في حاجة لقضاء بعض الوقت بمفردها بعد كل ما حدث.

ذهبت للمقهى الذي ارتادته فور وصول المعادي.

طلبت كاميليا القهوة وكيك البرتقال.

أثناء جلوس كاميليا وجدت يامن يسحب الكرسي المقابل لها.

قال يامن بلهجة مرحة:

- مرحبًا كامي.

لتقول كاميليا وقد اعتادت سخافته حتى أصبحت مستساغة لها لحدٍ ما:

- كامي؟

ليقول يامن:

- نعم أختصر فأنا جئت اليوم لأختصر الطريق وكل شيء.

قالت كاميليا وهي تحتسي قهوتها على مهل:

- ادخل في الموضوع مباشرة إذًا.

أكمل يامن:

- أنا معجب بك، صدقًا منذ رأيتك أول مرة. في البداية انجذبت لهيئتك لن أكذب عليك، كانت ملامحك مميزة ومحببة بالنسبة لي، لكن بعد ذلك أعجبت أيضًا بشجاعتك ومقدرتك على إيقاف من يضايقك عند حده وإن لم يقصد. أنا أعلم أنك في البداية لم تطيقيني، ولكن هل يمكن أن تعطيني فرصة؟

قالت كاميليا وهي تحاول اختصار المسافة عليه:

- هل تعلم ظروفي يامن؟ هل تعلم عني أي شيء

غير أنني أدعى كاميليا؟

قال:

- بل أريد أن أعلم وبشدة، لذا أطلب منك فرصة واحدة إن لم تجديني مناسبًا وعد سأبتعد ولن أريكِ وجهي مجددًا.

قالت كاميليا:

- إذًا استمع لي أولًا. أنا أدعى كاميليا من إحدى مدن الصعيد، جئت هنا هربًا من أهلي بعد تخليهم عني لطلاقي من ابن عمي في حفل حنائي، وقبل زفافي بأيام. هل تعلم لمَ طلقني؟

نظر يامن نحوها باهتمام، لتقول بانكسار:

- لأنني مريضة سرقة، وتم كشف أمري، كانت أخته على علم بذلك دون أن أدري وصورت لي عدة مقاطع تصويرية أرسلتهم للحضور في يوم الحناء مسببة فضيحة لي. بعدها لم يتقبلني والداي. حتي لم يفكرا لم وصلت لذلك، رغم ظروفنا المادية الجيدة، لم يفكرا في علاجي. فكرا في الفضيحة فقط. فاتخذت قراري وهربت محاولة البدء من جديد بمفردي. وأظن أنهما ارتاحا باختفائي ذلك، بل وتمنيا موتي أيضًا.

لتقول بعدها بشموخ ينافي انكسارها منذ لحظات:

- وأنا قررت أن أبدأ من جديد، كما أنني أتعالج نفسيًا مع طبيب نفسي عن بعد.

استمع لها يامن باهتمام شديد

ليقول في نهاية الأمر:

- لا يهم.. كل ما يهمني فيما قلت أنك تريدين البدء من جديد. وأنا أريد أن أكون أول من يخوض تلك البداية معك، هل تسمحين لي؟

ابتسمت كاميليا في خجل.

ليكمل وهو يشعر بالأمل:
- ماذا عن علاقتك بوالديك؟ بالتأكيد لن تستمر هكذا. لم لا تحدثين أحد إخوتك تطمئنينه عليك؟
ردت كاميليا:
- والداي عنيدان بشكل لا تتخيله. كما إنني لا أملك إخوة.
قال يامن:
- كاميليا حتى تستطيعي البدء من جديد يجب عليك قص كل حبال الماضي، وحبل الخصام بينك وبين والديك سينتهي حتمًا يومًا خصوصًا أنك وحيدتهما، إذا لم تهدري وقت؟ خدي خطوة إيجابية واقتربي أنتِ تلك المرة منهما. وأنا متأكد أنهما سيعيدان التفكير على الأقل.
لتومئ كاميليا برأسها وهي تفكر في كلامه جديًا.
في مقر عمل سديم..
خرجت من العمل تبكي لتلحق بها بسمة.
قالت سديم وهي تلقي بالأوراق التي تمسكها أرضًا:
- أنا سأستقيل عن العمل بذلك المكان. لن أتمكن من المواصلة هنا.
أمسكت بسمة يدها وهي تبتسم لتقول:
- يبدو أنك بلهاء حقًا.
رفعت سديم عينيها الحمراوين نحوها
لتقول بسمة:
- يا بلهاء هو يفتعل المشاكل معك لأنه لا يريد الاعتراف بإعجابه بك، لقد حذرتك حقًا في البداية أن تبتعدى عنه، لكني أرى إعجابًا متبادلًا بينكما، فلم لا تعطينه فرصة؟

ردت سديم بخنقة:

- بل تقصدين إعجابًا من طرف بلهاء مثلي فقط. ألم تري كيف كان رده فظًا لا ينتمي لأي نوع من الذوق، ويفتقر لأخلاقيات الحديث؟ ليحترم على الأقل كوني فتاة.

ردت بسمة بابتسامة متسلية:

- سترين لكن لا تنسي أن تدعيني لحضور حفل خطبتك.

في اليوم التالي

خرجت من غرفتها حافية القدمين غير مرتبة الشعر تتثاءب بقوة.

- حسنًا حسنًا من على الباب، لم العجلة في هذه الساعة؟ تبًا لإيصالات الكهرباء والغاز.

فتحت سديم الباب دون أن تنظر من العين السحرية الخاصة بالباب، لتتفاجأ بسهيل الماثل أمامها.

صفعت الباب في وجهه بقوة، واستندت على الباب تضرب وجهها بخفة:

- تبًا لي أنا، ما هذاااا؟!

دق سهيل الباب مرة أخرى

لترد من خلف الباب بلهجة متلعثمة:

- أستاذ سهيل ماذا هناك؟ وكيف.. كيف عرفت عنواني؟

رد عليها بتملل:

- هلا فتحت الباب؟ أخشى من الجيران أن يظنوني بائع اللبن وأنا أقف هنا في مثل هذه الساعة أنتظر أن تفتحي لي.

قالت بتمتمات منخفضة:

- أي بائع لبن هذا الذي يرتدي بدلة ويرتب خصلات شعره هكذا؟!

مدت يدها ترتب خصلات شعرها بسرعة، وتأكدت من ارتدائها ملابس محتشمة، وإن كانت منامة من القطن مرسوم عليها رسومات كرتونية مرحة.

فتحت سديم الباب لتجده يهم بالدخول.

وضعت يدها كحائل تمنعه من الدخول قائلة:

- عفوًا لن أستطيع إدخالك الشقة فلا يوجد سواي أنا وأختي سدرة.

قال سهيل بتفهم:

- نعم لا مشكلة. إذًا ما رأيك أن انتظرك أسفل البناية في السيارة حتى تبدلي ملابسك ونتناول الفطور بالخارج سويًا؟

نظرت سديم له بدهشة وهي تشعر أنها تحيا أحد أحلام العصر.

لتقول:

- نعم بالطبع، فقط انتظرني خمس دقائق.

ثم أغلقت الباب في وجهه لتفتح بعدها مره أخرى:

- عفوًا لم ألحظ أنك ما زلت ماثلًا أمام الباب، هيا تحرك بالنزول وسألحق بك.

نظر لها بيأس وهو يحرك رأسه ليستدير للنزول تحت نظراتها التي تحدق في أثره.

***

بعد خمس دقائق خرجت سديم من مدخل البناية لتجد سهيل في انتظارها يستند على السيارة ويضع على عينيه نظارة شمس سوداء.

أشار لها أن تركب السيارة ليفتح الباب لها.

استقلت المقعد الأمامي ليغلق الباب ويستدير

يستقل السيارة.

لم تبدأ سديم الحديث كعادتها فهو الذي أخذ الخطوة الأولى تلك المرة، لترى كيف ستجري الأمور.

التزم سهيل الصمت حتى وصلا لمقهى يبدو عليه الفخامة والرقي.

نزل مسبقًا ليفتح لها الباب بذوق لم تره منه من قبل.

عقدت حاجبيها في استغراب لتهبط من السيارة تشكره.

دخلا المقهى سويًا حيث فتح لهما النادل الباب بمجرد رؤية سهيل مرحبًا به، لتعلم أن من الظاهر أنه من رواد المكان.

جلسا متقابلين حول طاولة في منتصف المقهى ليسألها سهيل ماذا تود أن تطلب.

- أريد قهوة بندق بالشيكولاتة من فضلك.

أردف سهيل:

- لتتناولي الفطور أولًا.

قالت:

- لا داعي لذلك فلا شهية لدي.

ليكمل:

- حسنًا سأختار لك على ذوقي إذًا.

طلب طبقين من البيض المخفوق مع خضار ونقانق مشوية، وطلب لها قهوتها بالشيكولاتة ولنفسه كوبًا من الإسبريسو.

عم الصمت المكان وتظاهرت سديم بانشغالها في العبث بالهاتف.

كان سهيل يراقبها ليبدأ الحديث:

- سديم سأدخل في الموضوع مباشرة، فأنا لست مراهقًا، كما إنك فتاة ناضجة، هل تعلمين ظروفي؟

قالت سديم وهي تفكر هل تكذب أم لا:

- بشأن أي ظروف تقصد؟

- هل تعلمين أنني كنت مسجونًا سابقًا؟

قاطعته سديم:

- ولكن ظهرت براءتك كما أنك خرجت قبلها خسن سير وسلوك.

ابتسم لها وهو يراها تُدافع عنه من قبل أن يربطهما شيء ليقول:

- ولكن ذلك لن يغير من حقيقة قضائي خمس سنوات بالسجن.

أظلمت عيناه ليكمل:

- ولن أخفي عليك، أثر السجن علي شخصيتي وغيرَ بي الكثير.

قالت سديم بتردد:

- لمَ تخبرني بذلك الآن؟

قال:

- هل تعلمين قصة انتقامي ممن تسببوا في سجني؟ هل تعلمين أنني تحولت لمجرم حقيقي لإظهار براءتي؟ هل من أخبرك قصتي أخبرك أني خطفت طفلًا صغيرًا لابتزاز والده، ووضعت السكين على رقبته مهددًا والده إن لم يذهب ليعترف بالحقيقة كاملة أن أقتله؟

شعرت بقبضة في قلبها وهي تستمع لكلماته.

تضاربت مشاعرها كلها، ولم تستطع سوى النطق بـ:

- وهل كنت تنوي إيذانه؟ هل نويت قتله إن لم

يُنفذ والده طلبك؟

ليقول:

- هل ستصدقينني لو أخبرتك لا؟

- نعم سأصدقك. فسهيل النادي الذي أعرفه لا يكذب مهما كانت العواقب. يبدو ذلك عليك.

قال:

- لم أكن سأقتله، كنت سأحرر أسره وأذهب لتسليم نفسي بتهمة اختطافه.

سألته بفضول:

- كيف وصلت ببساطة لسلطتك تلك؟

قال وهو يخرج لفافة تبغ يضعها في فمه دون أن يُشعلها:

- لقد خرجت من السجن منذ أربع سنوات، كنت حينها في الثامنة والعشرين، قضيت منهم سنتين في التفكير كيف يمكنني إظهار براءتي والانتقام منهم في نفس الوقت. كنت أتابع أخبارهم وفكرت كثيرًا في التراجع مع ازدياد سلطتهم ومشاريعهم الضخمة، كانت تلك المشاريع واجهة فقط تبعد الأعين عن خلفيتهم الحقيقية وفسادهم. حتي جاء اليوم المناسب لتحقيق مبتغاي. علمت من موظف بالشركة -كنت على صلة به وأعطيه نقودًا ليعلمني بأخبارهم- بوجود خلافات بين الطرفين الذين تسببا في سجني، بعد حديثي عن فسادهما في إحدى مقالاتي. في ذلك الوقت رغبت في استغلال الخلاف بعدما علمت برغبة أحدهما في قتل ابن الاخر، حيث سأل ذلك الموظف الذي أخبرتك عنه والذي كان يعمل كفرد أمن بالشركة، إن كان لديه قدرة على خطف طفل صغير من المدرسة، كان ذلك الموظف على علم برغبتي في الحصول على فرصة

للانتقام منهما، فقد أخبرته أنه سيكون له مبلغ مالي ضخم إن انتهز الفرصة في أي وقت وساعدني في الانتقام منهما. بالطبع وقتها لم يخطر على الطرف الآخر أن يعرض مثل المبلغ الذي عرضته عليه حتى مقابل قتل ذاك الطفل.

أحضر النادل الطعام ليتوقف عن الحديث.

انتظرت سديم أن يرحل لتنطق بعدها:

- أكمل.

ليقول حينها:

- في ذلك اليوم استغللت ذلك الحديث وقد كنت متوقعًا حدوث شيء كذلك، وطلبت من الموظف أن يسجل لذلك الرجل إن طلب منه أذية الطرف الثاني. علمت عنوان مدرسة الولد وقمت باختطافه، وأرسلت لوالده التسجيل الصوتي لشريكه الذي أراد خطف ابنه وأخبرته أنني اتفقت معه على قتل الطفل الصغير. وطلبت منه أن يعترف في النيابة ببراءتي مقابل تحرير ابنه وأنه وشريكه من قاموا باختلاق تلك القضية لي. وطلبت منه أوراق المناقصة الأخيرة والمبلغ المالي الذي كنت وعدت الموظف به. ذلك كل ما في الأمر.

والآن سديم بعدما أخبرتك الحقيقة الكاملة هل تودين أن تعلمي أنا لم أخبرك بكل ذلك؟

نظرت له في حيرة

ليكمل:

- لأني معجب بك منذ اليوم الأول الذي رأيتك به.

شعرت بغصة في حلقها لتبدأ في السعال من شدة الخجل.

ليعطيها كوب ماء مبتسمًا.

أكمل بعدها:

- سديم سأسألك صراحة هل هناك إعجاب متبادل من جهتك ناحيتي، رغم كل ما علمته عني، ورغم فارق السن الثماني سنوات بيننا؟

ابتسمت بخجل لتسبل جفنيها.

شعر سهيل بفرحة ليضحك فاغرًا فمه، حتي تعجبت سديم فهو كان جيدًا حقًا في إخفاء مشاعره نحوها، كما أنها لم تره يضحك كهذا من قبل.

قال سهيل:

- أرغب منك أن تفكري جيدًا في الأمر من جميع الجهات، وأن تخبري أهلك بطبيعة ظروفي كاملة فأنا لن أقبل بخداعهم.

لترد سديم بدفاع تجاهه:

- بالتأكيد سأخبرهم بكل شيء. فأنت شخص بريء سهيل لا أراك مذنبًا في أي شيء.

ضحك سهيل ليقول وهو يمسك شوكته:

- إذا هيا تناولي الطعام وأخبريني برأيك في المطعم، إن أعجبك سأحضرك هنا دومًا.

لتبتسم له سديم وهي تشعر بالاطمئنان أخيرًا.

***

كانت بيسان تحاول التعافي من أجل والدتها، فكما ضحت والدتها وأخفت حزنها من أجلها فيجب عليها هي أيضًا التخطي لأجلها.

عزمت والدتها مازن ليتناول الغداء معهما

ليجلسوا ملتفين حول سفرة واحدة.

لم يكن يخفى على والدة بيسان إعجاب مازن بابنتها وكانت مرحبة بذلك بشدة. فهي تعلم أن ما يفعله لو لأجل صلاح مرة فلأجل بيسان مرتين.

كان ظاهرًا عليه حبه لها، ولكن بيسان كانت لا

تنتظر ذلك في وقت كهذا ومنه هو تحديدًا أي مشاعر.

قالت والدة بيسان تقطع الصمت:

- ما رأيك في الطعام يا مازن؟

ليرد الآخر عليها:

- رائع سلمت يداك خالتي، معك أشعر بأن أمي عادت للحياة من جديد.

لترد عليه:

- وأنا أعتبرك ولدي يا مازن، فأنت تخفف عليّ غياب صلاح. يكفي أنك من رائحته وآخر من رآه، أتعلم عندما نجتمع ثلاثتنا أشعر بالأمل يملأني.

قال مازن:

- أطال الله في عمرك ولا حرمنا من وجودك.

قالت بيسان متسائلة:

- هل نويت الاستقرار في مصر، أم ستذهب لأقاربك في الأردن؟

انتهز مازن الفرصة ليقول:

- صراحة بيسان هذا الأمر يتوقف عليك.

عقدت حاجبيها في استغراب لتقول:

- وما شأني بذلك؟

لتكمل بجدية:

- إن كنت تشعر بالمسئولية فأنا أعفيك من ذلك. يكفي كل ما قمت به. أنت غير مطالب بذلك.

رد عليها مازن:

- لكنني أريد ذلك بيسان، وأريد أيضًا أنا أتزوج بك ونستقر هنا حتى تهدأ الأوضاع ونعاود معًا لوطننا.

قالت بيسان باندفاع:

- ماذا؟ أنت وأنا؟ كيف؟ ومتى؟

رد عليها مازن باختناق:

- منذ كنت في الثامنة عشر، ومنذ دخولي منزلكم رغبت في ذلك لكنك كنت مخطوبة لنبيل رحمة الله عليه. كذلك أخبرني صلاح وقتها.

ردت والدتها وهي تبتسم:

- سأكون سعيدة بذلك يا مازن فأنا سأطمئن عليها معك.

لترد بيسان بتوتر:

- ولكن مازن أنا لا أعرفك جيدًا كما أن الظروف غير ملائمة.

ليقترح عليها:

- إذًا ما رأيك أن نقوم بخطبة لمدة شهرين أو ثلاث حتى تستطيعي التعرف عليّ جيدًا، وأنا متفائل بيسان، فنحن متشابهان وأنا أعلم عنك الكثير من حديث صلاح ومن حديثي معك في الفترة السابقة.

فكرت بيسان في الأمر لتجد أنها ربما تكون بداية جديدة لها لتحظى بفرصة أخرى

لتقول:

- موافقة لكن بشرط.

رد عليها:

- موافق أياً كان الشرط.

- أن تقنع السيدة نازلي أن بعد زفافنا نسكن هنا في البناية معها. فأنا لا أرغب في الانتقال لمكان آخر، وهي تشترط السكن للفتيات فقط.

ليقول بنظرة عزم ولمعة عين:

- موافق سأفعل.

***

جلست كاميليا في غرفتها تهاتف والدها من رقم

سدرة بتردد.

أتاها صوت والدها

لتقول:

- أنا كاميليا أبي. هل يمكن أن نبدأ من جديد؟ أم هل تخليتم عني نهائيًا..

أخذت والدتها الهاتف

ليأتيها صوتها الغاضب مشتاقًا وباكيًا..

كانت والدتها تسبها وتسألها عن حالها ومكان سكنها في نفس الوقت

قالت كاميليا:

- سأنسى أنكما تخليتما عني لأنني أيضًا أخطأت. ولكن أقسم أن هروبي ليس إلا رغبة مني في البدء من جديد. فأنا الآن أتابع مع طبيب كما تقدم لخطبتي شاب جيد. لا ينقصني سواكما وسوى اجتماعنا مجددًا. فهل لي بهذا؟

***

مر ثلاثة أشهر استقرت فيهم الأمور.

فتحسنت حالة أيان الصحية وخرج من المشفى، أما عن سديم فاتحت والدها بخصوص سهيل ووافق بعدما علم كل ظروفه، لكن أمها اعترضت وأصرت على رفضها ليتولى والدها الأمر مصرًا على ألا يضيع حق ابنته في اختيارها.

أما عن كاميليا ويامن توطدت علاقتهما وأتى والداها القاهرة ليتعرفا عليه كما اشترطا أن يأتي لخطبتها في مدينتهم بالصعيد. لتوافق كاميليا على ذلك وتعد والديها أن تعاود معهما لكن بعد عقد قران بيسان.

كان استطاع مازن إقناع السيدة نازلي بسهولة أن يكون مع بيسان ووالدتها في الشقة حيث ذلك

شرطها الوحيد.

وبعد خطوبة دامت ثلاثة أشهر وجدت بيسان أن مازن عوض الله لها فوافقت على عقد القران.

الخاتمة..

أصرت والدة بيسان أن يقيموا حفل عشاء مسائي تمسكًا بعاداتهم لتشعرها بروح بلدها التي غادرتها، ولكنها تسكن قلبها.

ورغم رفض بيسان في بداية الأمر أن يقيموا احتفالًا أو زفافًا حدادًا على صلاح الذي لم تأخذ وقتها في الحزن عليه، إلا أنها وافقت إرضاءً لوالدتها ولمازن الذي تحمل الكثير لأجلهما.

يومها لم تتركها سديم وسدرة وجلنار، حتى كاميليا التي اقتربت خطبتها هي الأخرى أصرت على البقاء معها والاعتناء بها طول اليوم.

دللنها هي ووالدتها، حيث كانت السيدة نازلي أيضًا تلازمها، كما أصرت على مساعدتها في إعداد عشاء الحناء للعروس.

اتفق مازن يومها مع متخصصة في تنظيم حفلات الأفراح ليأتوا في الصباح يومها يقومون بتنظيم الحديقة المحيطة بالعمارة.

كما طلبت يومها جلنار من أيان إحضار أشخاص لتقليم الأشجار وتنظيم غصونها.

مساء ليلة الحناء

كانت الأجواء في بادئ الأمر هادئة.

مدخل العمارة كان مفترشًا بالزهور الصغيرة المتراصة على سجادة ضخمة بلون القهوة الفاتح في منتصف المدخل، ومصطف على جانبيه باقات وردية ضخمة.

وكانت الأنوار الزرقاء ملتفة على جزع الشجرة الضخمة على رصيف البناية.

بدأ الحضور في الوفود وكان المعزومون يومها قلة، بعض أقارب مازن الذين استطاعوا المجيء

رغم استقرارهم بالأردن، وسهيل الذي أصرت سديم على حضوره، كما حضرت عائلة كاميليا بعدما دعتهم والدة بيسان شخصيًا، وحضر أيضًا يامن خطيب كاميليا وأسرته.

وكان من بداية اليوم يقف أيان مع جلنار التي تطلب منه أن يستريح كل خمس دقائق.

كانت العروس تستعد في غرفتها شاعرة بالتوتر والخوف من أن يكون مظهرها مبالغًا فيه.

أخذت سديم تشاكسها بأنها تشبه عروس المولد، لتلكزها سدرة. بعدها ارتفعت الزغاريد لتعلم بيسان وصول مازن وأقاربه.

نهضت تقول:

- لما لا نُلغي الحفل ونؤجل عقد القران ليوم آخر؟ أنا غير مستعدة. أنتن من ضغطتن عليّ.

دق باب الغرفة بشدة، اتستعجلتها والدتها للخروج، وارتفعت أصوات الأغاني من حولها.

أخذت سديم وسدرة وكاميليا يزغردن بصوت مرتفع، وقامت جلنار بتشغيل أغاني زفاف من التراث الفلسطيني والتي كانت بحثت عنها قبلاً رغبةً منها في إدخال البهجة قلب بيسان وإسعادها.

ارتفعت أصوات الموسيقى المتداخلة والزغاريد مع كلمات الأغنية..

قولوا لامه تفرح وتتهني
ترش الوسايد بالعطر والحنا
ويا دار هنا وابنيها يا بنا
والفرح النا والعرسان تتهنا
والدار داري والبيوت بيوتي
واحنا خطبنا يا عدوة موتي

يابى مريم لا تكون عبوسي
واسمح بوجك واعطى هالعروسه
يابي مريم لا تكون طماع
المال يفني والنسب نفاع

نظر مازن نحو بيسان بانبهار ورضا.

كانت طلتها ملائكية. ترتدي فستانًا أبيض من الستان المنطفأ ينساب على جسدها بنعومة وكانت ترتدي عقدًا من اللولي ضخمًا وله تكملة تصل لأعلى كتفها وتتدلى لأسفله.

صممت بيسان يومها ألا تخلع الطرحة أيضًا لتطلب من مصممة الحجاب الخاص بها أن تقوم بعمل حجاب كامل لها من نفس لون وقماشة الفستان.

ووضعت عليها طرحة عروس مزينة بورود صغيرة.

رفعت بيسان عينيها الخضراوين تنظر لمازن بحب وامتنان واضح، ليتقدم نحوها يُعطيها باقة من زهور الأوركيد البيضاء وهو يهمس لها أنها أكثر من رائعة..

- حضر المأذون أفسحوا الطريق يا فتيات..

قالها يامن وهو يتقدم مع المأذون نحو الطاولة الموضوعة في منتصف الصالة.

في ذلك الوقت انسحبت سديم تنتظر سهيل بالخارج والذي اختفى فجأة بعد حديثه مع والدها. خشيت أن يكون والدها استمع لوالدتها ورفضه دون إعطائه فرصة..

لتتفاجأ بعدها بسهيل وهو قادم يحمل زهور عباد الشمس التي أخبرته يومها أنها تُحبها ويُخرج من جيبه علبه فخمة يفتحها ليظهر منها حلقة ذهبية وخاتم ماسي.

فتحت فاهها في دهشة.

ليغلق العلبة قائلًا وهو يغمز لها:

- أقنعت والدك ولكن حينما وافق لم أستطع إخفاء الدبل أكثر من ذلك فقد اشتريتها منذ نويت خطبتك، لكن كنت في انتظار موافقة والدك أولًا، والآن ستكونين عروسي سأتقدم رسميًا لخطبتك، ولكن انتظر حتى انتهاء غرس بيسان وسأحدد موعد قدومي لزيارتكم أنا وأمي مع والدك.

ابتسمت سديم بفرحة وأخذت تقفز مكانها لتقول:

- أحبك سهيل أحبك كما لم أحب أحدًا من قبل.

قالت كمن تذكر شيئًا وهي تمد يدها تسحبه:

- هيا حتى لا يفوتنا عقد القران، سيكون أبي شاهدًا فيه هو ووالد كاميليا، وأحد عمومة مازن هو ولى العروس.

عقد المأذون القران ليقول بصوت أجش سعيد:

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في الخير.

لتتعالى الزغاريد عند نهوض مازن يُقبل رأس بيسان.

سحبت بعدها سدرة المنديل الأبيض وهي تقول أنها من سيحتفظ به..

بدأ المصور في التقاط صورًا للحضور مع العروسين وأخذت كاميليا توزع الحلوى على الحضور.

أما عن جلنار فكانت توزع بصرها بين بيسان تتأكد من أن حجابها وفستانها مهندمان وبين أيان الذي كان يقف بجوار يامن يُحدثه.

قالت والدة بيسان للحضور بلهجة شامية عذبة:

- هيا جميعًا لنلتقط صورة جماعية نُعلقها بشقة العروسين.

ليقف مازن وبيسان في المنتصف وجانب بيسان والدتها ووالدة جلنار التي كانت تتحرك بكرسيها بينهم بسلاسة وبلا تعقيد، وجوار مازن كان يقف عمه وخالته لأمه، والتف من حولهما والد ووالدة سديم وسدرة ووالدا كاميليا، أما عن سديم فوقفت جوار سهيل، وكاميليا طلبت منها والدتها أن تقف جوار يامن، حيث كانت خجلة من فعل ذلك.

أما عن سدرة وجلنار فوقفتا تحتضنان بعضًا، ومن خلفهما أيان رافع يده بإشارة علامة النصر.

طلبت منهم سديم بعدها الافتراق قائلة بسعادة غامرة وهي تخرج يدها لالتقاط صورة سيلفي لهم:

- الآن صورة لنا نحن الخمس فقط، وهذه الصورة سنعلقها في مدخل عمارة الخمس بنات.

تمت بحمد الله